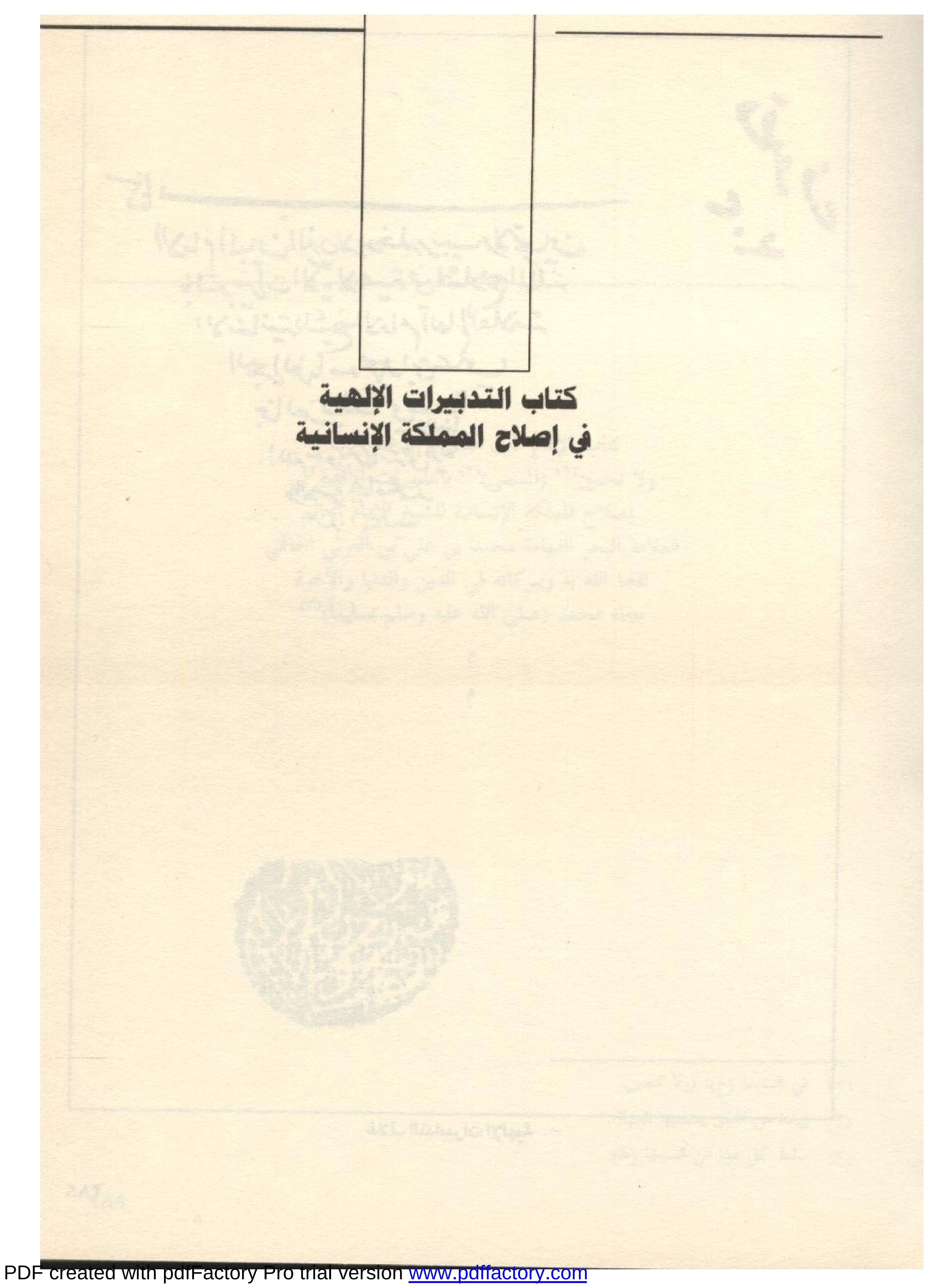


كتاب التدبيرات الإلهية
في إصلاح المملكة الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1]

قال العبد الفقير إلى الله ـ تعالى ـ محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي[2]:

الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجود علمه إلى وجود عينه في أول إبداعه، جوهرة، فنظرها بعين الجلال، فذابت حياءً منه، عندما حققت[3] نظره فسالت ماءً، أكنَّ فيه جواهر علمه، ودرره، ثم أرسل منه ميزاباً إلى مشربة غصن الامْتزاج فأقام به صِغَرَهُ وسمى ذلك الغصن [إنساناً][4] فصوّره، وشق سمعه وبصره، وأحكم ترتيب [وجود][5] كل شيء في العالم الأكبر فيه[6] ودبره [فقدره][7] وأشهد بشاهد الإحسان كل شيء فقرره[8]، ورتق سماء عقله بعدما فتقه وفطره، وأبطن[9] كونه في كونه وأظهره، وحجبه عن سره بما هو أخفى وستره، حكمة بالغة لمن دقق النظر فيه واعتبره، ثم تجلى له من حضرة الاقتدار فبهره [فأجفل هارباً من نيران الهيبة فضمه وقهره وغمسه][10] غمسة في البحر [الأخضر][11] من غير أن يشعره، فإذا سر

---

(١) هذه الفقرة سقطت من النسخة (ط).

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في (خ): (حقق).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (خ)

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٦) في النسخة (خ): (منه).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٨) توجد جملة (في العالم الأكبر فيه ودبره) مكررة في (خ).

(٩) في النسخة (خ): (أبان).

(١٠) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

القدرة الإلهية فيه مازَجَتْ بشره، ثم كشف له عن حضرة الديمومية فحقق بها عمره، وردَّاه برداء الحياة الأبدية دون كون ضمه ولا أمد حَصَره، وأعلى منارة للملائكة وأوضح غُرَره، فَبَايَعَتْه بالسجود[١] إذْ أَمَدَّهُ بالأسماء، ونوَّره، وجعله في أرض الأجسام خليفة، فأيَّده ونصره، ثم أبدع له العقل وزيراً فاستوزره، ووهبه سر الخطاب في نار الشجرة، وأعطاه عصى إعجازه ـ فأهلك بها الخواطر السحرة، ثم خوفه لدى قسطاس الانقسام وحذره، وقسم موارده عليه قسمة منتشرة، وأردفها بأجْناد إشارات إلهية غير منحصرة، وأورد الخواطر على باب حضرته فمقبلة ومدبرة[٢]، فمنها قابلة لعيون الإشارات ومنها مستنفرة، وعمَّر مدينته في النبط الأوسط[٣] ومنها أفقره، وأغناه بمطالعة أسرار الملكوت وبها أفقره[٤]، وأباح له التصرف في الأكوان بما به عنها نجوه، وسوى في قبضتيه الأخذ بين من آمن به وكفره، وأشهده على تلك القضية[٥] وقرَّره، ونصب ملكه جسراً للعبور فطوبى لمن عبره، ثم شاء سبحانه أن يدنّسه بما به طهره، فجعله برزخاً جامعاً للكفرة والبررة، وأقامه في عالم التركيب داعياً على منابر التذكرة وأيده[٦] بالعلوم الإلهية وغمره، ونهاه عن إفشاء ما بظهوره أمره، فقال: ألا تنظرون في عوَالمكم إلى سموات أفلاكها مسخرة، وأراضين بحارها مسجّرة، وفلك مشحون أجراه في بحر الكون عندما أوسقه وعمره، فهو يجري[٧] بين رجلي رجاء وخوف كتب عليها الصانع القديم بقلم العلم المحيط في الرجل الأيمن: ﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[٨] وفي الرجل الأيسر ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٩]. فليبادر بالطاعة لمن هداه النجدين فبصره، وليشكره على رزق قسمه فيسره وعسره، وليبحث عن الكنز الذي حجبه بالجدار الجسماني وستره، ثم ليتدبر كيف أحياه حين أقبره، وأماتَه في الوقت الذي أنشره، وأظلمه بجلابيب حنادس ملابس غيوب النور الذي به أقمره، ودلَّ على النجي واللدني بآيتي محو ومبصرة ثم صيَّر آية المحو في بعض الأحايين منوَّرة، وذلك في الليالي المقمرة، عند تقابلهما في الكرة، ثم أظهر ذلك السر فيمن ضرب بعصا الاختيار حجر الأسرار ففجره.

---

(١) أي: بايعته الملائكة بالسجود لأمر الله تعالى.

(٢) في النسخة (ط): (مقبلة مدْبرة).

(٣) في النسخة (خ): (النمط الأسود).

(٤) في (خ): (وما أفقره).

(٥) في النسخة (خ): (القبضة).

(٦) في (خ): (وأمده).

(٧) في (خ): (يجرى).

(٨) الآية رقم (٧) من سورة الزلزلة.

(٩) الآية رقم (٨) من سورة الزلزلة.

فانظر إلى شجر فاض على حجر وانظر إلى ضارب من خلف أستار

فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهرة فما أغفله عن القيام بشكرها ﴿قُتِلَ الإنسان ما أكفره﴾[1] والويل لمن زهد في اعتبار وجوده وحقره، والصغار له فما أذله وأصغره، فليته كما كفره شكره، فيكون من الذين ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾[2] فانتظموا في سلك عسى المدخرة في الدار الباقية المؤخرة، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ممن تابعه وآزره، الملتحفين في أبراد المعارف الربانية المحبَّرة المطرزة بعلم العصمة[3] المشهرة ما سبح الملك ربه وذكره، وزهد أهل العناية في الخلوة والحضرة. أما بعد:

حقق الله سرك بحقائق الوصال[4] وجعلك من الساجدين له بالغدو والآصال، فإني بنيتُ هذا الكتاب الصغير الحجم، اللطيف الجرم، العظيم الفائدة الكثير العلم، المستخرج من العلم اللدني وألقابه العدناني المسمى في الإمام المبين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين «بالتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية» وهو يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأحد وعشرين باباً من دقائق التوحيد في تدبير الملك الذي لا يبيد، على التدبير[5] الحكمي والنظام الإلهي، وجاء غريباً في شأنه، ممزوجاً رمزه ببيانه، يقرأه الخاص والعام، ومن كان في الحضيض الأوهى ومستوى الجلال والإكرام، ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾[6] ففيه للخواص إشارة لائحة، والعوام طريقة واضحة، وهو لباب التصوف، وسبيل التصرف، لحضرة الترؤُف والتعطف، يلهج به الواصل والسالك، ويأخذ حظَّه منه المملوك والمالك، يُعرب عن حقيقة الإنسان وعلو مَنْصبه على سائر الحيوان، وأنه مختصر من العالم المحيط مركب من كثيف وبسيط، لم يبق في الإمكان شيء إلاّ أودع فيه، في أول منشئه ومبانيه، حتى برز على غاية الكمال وظهر في البرازخ بين الجلال والجمال، فليس في الجود بُخل، ولا في القدرة نقصان، صح ذلك عند ذوي العقول الراجحة بالدليل والبرهان، ولذا قال بعض الأئمة: وليس أبدع من هذا العالم في الإمكان[7]، والله يؤيدنا بالعصمة ولطيف الحكمة، إنه فياض النور واسع الرحمة.

---

(١) الآية رقم (١٧) من سورة عبس.

(٢) انظر إلى نص الآية (١٠٢) من سورة التوبة تقول: ﴿وآخرون اعترفوا بذُنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾.

(٣) في (ط): (الحشمة).

(٤) في (خ): (الرجال).

(٥) في (ط): (الترييب).

(٦) الآية رقم (٦٠) من سورة البقرة.

(٧) انظر ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي في (مشكاة الأنوار).

تمهيد للكتاب

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله سبحانه قد شاء أن يبرز العالم في الشفعية لينفرد سبحانه بالوترية فيصح اسم الواحد الفرد ويتميز السيد من العبد ولمَّا وقفت، أوقفكم الله على حقائق نفوسكم وأطلعكم على ما أورده فيكم من لطيف حكمته، وغريب صنعته، على قوله تعالى: ﴿وهو الذي مَدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل والنهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[١].

فأخذت في الفكر والاعتبار في هذه الآية فرأيتُ [أن][٢] الإنسان من جملة الثمرات، ينمو كنموها[٣]، يتغذى بغذائها، ثم ينتهي كنهايتها، فتؤخذ منه الفوائد كما تؤخذ منها، ثم يأخذ في النقص كالنقص منها ثم يهرم كهرمها، ثم يموت كموتها، ثم رأيناه يولد كتوليدها فيؤخذ بذر منها فيزرع. فتحدث فيه الشباب كذلك حتى يصير مثل حالها، فقد يؤخذ منه كما أخذ منها، وقد يترك فينقطع النسل من تلك الشجرة المعيَّنة. وكذلك الإنسان في التوالد على ذلك الجميع، فقلنا هذه شجرة فأين أختها التي تصح بها شفعيتها، وإطلاق هذه الآية عليها فكراً واعتباراً فتتبعنا وجود الإنسان وتفضيله على سائر الحيوان، وتَقَصَّيْنا أسراره وحكمته، ولطائفه فرأيناها بأعيانها في العالم المحيط الأكبر قدماً بقدم، فلم نزل نقابله حرفاً حرفاً[٤] ومعنى معنى، حتى وجدناه كأنه هو فعلمنا أن الثمرة الواحدة العالم الأكبر[٥] المحيط، والثمرة الأخرى الإنسان الذي هو العالم الأصغر فطلبنا على ذلك تنبيهاً من الكتاب العزيز فوقفنا على آيات

---

(١) الآية رقم (٣) من سورة الرعد.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٣) في النسخة (ط): (كنمائها).

(٤) في النسخة (ط): (حرفاً بحرف).

(٥) في النسخة (ط): (الكبير ... الصغير).

نيِّرات منها: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1]، ﴿سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾[2] ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾[3] ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾[4] ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾[5].

فحمدنا الله سبحانه وتعالى على ما ألهم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله [علينا][6]، فانظر نوَّر الله بصيرتك إلى ما تفرَّق في العالم الأكبر تجده في هذا العالم الإنساني من ملك وملكوت حتى إذا ظهر في العالم مثل النماء وجدته في الإنسان كالشعر والأظفار وشبه ذلك[7].

وكما أن[8] في العالم ماء مالحاً وعذباً وزعاقاً[9] وذلك موجود كله في الإنسان.

فالمالح في عينيه.

والزعاق في منخريه.

والمرُّ في أذنيه. والعذب في فمه.

وكما أن في العالم تراباً، وماءً، وهواءً، وناراً، ففي الإنسان ذلك بعينه ومنها خلق جسمه، وقد نبّه عليها الحكيم في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلقكم من تراب﴾[10] ثم قال تعالى: ﴿من طين﴾[11] وهو امتزاج الماء بالتراب ثم قال جلَّ اسمه: ﴿من حمإٍ مسنون﴾[12] وهو المتغير بالريح وهو الجزء الهوائي الذي فيه، ثم قال: ﴿خلق الإنسان من

---

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الذاريات.

(٢) الآية رقم (٥٣) من سورة فصلت.

(٣) الآية رقم (٢٧) من سورة ص.

(٤) الآية رقم (١١٥) من سورة المؤمنون.

(٥) الآية رقم (١٢) من سورة الطلاق.

(٦) في النسخة (ط) (عليك) والسياق يتطلب ما أثبتناه وقد سقطت من النسخة (خ).

(٧) في النسخة (ط): (ونحو ذلك).

(٨) في النسخة (خ): (وكان).

(٩) في النسخة (ط): (وزعاقاً ومراً فذلك).

(١٠) الآية رقم (٦٧) من سورة غافر.

(١١) الآية رقم (٢) من سورة الأنعام.

ونصها: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى ثم أنتم تمترون﴾.

(١٢) الآية رقم (٢٦) من سورة الحجر.

ونصها: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾.

صلصال﴾[1] وهو الجزء الناري، وهذه حكمة منه سبحانه وتعالى ﴿يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾[2] وكما أن في العالم أرياحاً أربعاً: شمالاً، وجنوباً، وصبا ودبور.

ففي الإنسان أربع قوى: جاذبة، وماسكة، وهاضمة ودافعة.

وكما أن في العالم أسباعاً وشياطين وبهائم.

ففي الإنسان الافتراس، وطلب القهر والغلبة والغضب، والحقد، والحسد، والفجور، والأكل والشرب، والنكاح، والتمتع كما قال عزَّ وجلّ: ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾[3]. وكما أن في العالم ملائكة بررة[4] سفرة، ففي الإنسان طهارة، وطاعة، واستقامة، وكما أن في العالم من يظهر للأبصار[5] ومن يخفى، فللإنسان ظاهر وباطن عالم الحس، وعالم القلب، فظاهره ملك وباطنه ملكوت. وكما أن في العالم علواً، وسفلاً[6]. ففي الإنسان علو وسفل، وامش بهذا الاعتبار على العالم تجده نسخة إلهية[7] صحيحة ما يختل[7] حرف ولا نقص معنى، ولم نجد له في مقابلة الأزل إلاّ الأبد[8] فهو غير متناهي الطرف الآخر شرعاً، وسبق في علم قديم باق بإبقاء الله عزَّ وجلّ.

قال العبْد: وجرت المتصوفة ـ رضي اللّه تعالى عنهم ـ في هذا النظر والاعتبار مجرى العرب في كلامها أن الاستعارات والمجاز بأدنى شبه وأيسر صفة يجمع بينهما، وفي القرآن من هذا القبيل كثيراً إذْ القرآن جاء على لغة العرب، كما قال عليه السلام: «**إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين**»[9] ومثل قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾[10] ﴿كسراب بقيعه﴾[11]،

---

(١) انظر الآية السابقة وفي النسخة (ط) «خلق الإنسان من صلصال كالفخار».
وهي الآية رقم (١٤) من سورة الرحمن.

(٢) الآية رقم (٥٤) من سورة الروم.

(٣) الآية رقم (١٢) من سورة محمد.

(٤) في نسخة المخطوط (خ): (نور).

(٥) في النسخة (خ): (للأعصار).

(٦) في (خ) (علو وسفل) وفي (ط): (سماءً وأرضاً).

(٧) في (ط): تجد النسخة الإلهية صحيحة ما اختل).

(٨) في (خ): (الأجل).

(٩) حديث (إنما أنزل القرآن بلساني..).
أنظر: البخاري في **المناقب** ٣ **وفضائل القرآن** ٢. والترمذي: **تفسير سورة** ١٩/٩ المعجم المفهرس ١١٦/٦.
وانظر السيوطي: **الدر المنثور** تفسير سورة إبراهيم ٤/٥ ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾.

(١٠) الآية رقم (٤) من سورة مريم.

(١١) الآية رقم (٣٩) من سورة النور.

﴿كرماد اشتدت به الريح﴾[1] ﴿كمثل صفوان عليه تراب﴾[2] ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾[3] ﴿واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾[4] ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾[5].

فلم يزل الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ في اعتبارها على هذا النهج فلنلخص لك ولنقرب عليك[6] كيف تنظر العالم في الإنسان على ما تقدم، وذلك أن تنظر إلى ما خرج[7] عنك من الموجودات، وإذا وقعت عيناك[8] على موجود ما فاطلبه[9] على الصفة التي غلبت على ذلك الموجود حتى شُهر[10] بها، وإذا عرفت تلك الصفة التي انبأت عنه ودلت عليه، فإنها إما صفة النفسية[11]، وإما صفة غالبة عليه، ثم تنظر تلك الصفة [بعينها][12] فنجدها في الإنسان لا محالة فتطلق على الإنسان عند مشاهدتك تلك الصفة اسم التي هي[13] صفته مثل البلادة التي هي غالبة على الحمار دون غيره من الحيوان، فتقول في الإنسان حماراً إذا رأيناه بليداً، أو أسداً إذا رأيناه شديداً طالب الافتراس.

ومثل هذا النظر[14] أيضاً في الأسرار الشريفة مثل: أن تنظر إلى الشمس والقمر، فتجعل الشمس للروح والقمر للنفس، وذلك أن النفس ذات كمال ونقص على حسب ما يرد في آخر[15] الكتاب، فكمالها بالعقل والعلم، ونقصانها بالجهل، والشهوات، وكما أن نقص القمر قد يكون سببه الأرض[16] وهو الأسفل من القائم[17] كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب

---

(١) الآية رقم (١٨) من سورة إبراهيم.
(٢) الآية رقم (٢٦٤) من سورة البقرة.
(٣) الآية رقم (٨٢) من سورة يوسف.
(٤) الآية رقم (٨٢) من سورة يوسف.
(٥) الآية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف.
(٦) في النسخة (خ): (فلخص لك ولتعرف كيف).
(٧) في النسخة (خ): (خارج).
(٨) في (خ): (وقع عيناك) وفي (ط): (وقعت عينك).
(٩) في النسخة (خ) غير واضحة، ومن (ط): (فاطلب الصفة).
(١٠) في النسخة (ط): (حتى شربها).
(١١) في (ط): (فإما صفة نفسية له) وفي (خ): (فإنها الصفة النفسية).
(١٢) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).
(١٣) في (ط): (الذي هو).
(١٤) في (خ): (النطق).
(١٥) في (ط): (في داخل).
(١٦) في (ط): (الكسوف الأرض).
(١٧) في (ط): (العالم).

الشهوات ومحلها أسفل السافلين، وكما أشرقت الأرض بنور الشمس، كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح، فكشفت الأشياء إلى ما بنى[١] عليه، إلى أمثال هذا مما يطول ذكره.

قال المؤلف ـ رضي الله عنه ـ لما أردنا أن نأخذ في مقابلة النسختين: العالم الأكبر والأصغر على الاطلاق من جميع الأسرار العامة والخاصة رأينا أن ذلك يطول، وعرضنا من العلوم ما يوصل إلى النجاة في الآخرة إذ الدنيا فانية دائرة فعدلها إلى أمر يكون فيه النجاة ويتمشى معه المراد الذي بيّنا عليه كتابنا وهو أنا نظرنا الإنسان، فوجدناه مكلفاً مسخراً بين وعد ووعيد، فسعينا في نجاته مما توعد به، وفي تخلصه لما وعد إليه فاضطرنا الحال في إقامة[٢] القسطاس عليه من العالم الأكبر[٣] فرأينا ذلك في حضرة الأمر والنهي وحضرة الإمامة، ومقر الخلافة [فوجدنا][٤] الخليفة شاهداً، فيه ظهرت الحكمة، وآثار[٥] الأسماء على يديه تنفعل أكثر المكونات المخلوقات[٦] للبارئ ـ تعالى ـ فتقصينا الأثر وأمعنا النظر في حظ الإنسان من هذه الحضرة الامامية فوجدناه في الإنسان خليفة، ووزيراً، وقاضياً، وكاتباً، وقابض خراج وجبايات وأعواناً، ومقابلة[٧] أعداء وقتلاً وأسراً، إلى مثل هذا مما يليق بحضرة الخلافة التي هي محل الإرث، وفي الأنبياء انتشرت راياتها ولاحت أعلامها، وأذعن الكل لسلطانها ثم خفيت بعد الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)[٨]، فلا تظهر[٩] إلى يوم القيامة عموماً، لكن قد تظهر خصوصاً فالقطب معلوم غير معين، وهو خليفة الزمان ومحل النظر والتجلي ومنه تصدر الآثار[١٠] على ظاهر العالم وباطنه، وبه يرحم من يرحم، ويعذب من يعذب، وله صفات إن اجتمعت في خليفة عصر فهو القطب، وعليه مدار الأمر الإلهي، وإن لم يجتمع فهو غيره ومنه تكون المادة لمُلك ذلك الزمان[١١] وهذا كله في الإنسان موجود ونحن إن شاء الله نورده في

---

(١) في (ط): (على ما هي عليه).
(٢) ما أوردناه من (ط) أما (خ) فغير واضحة.
(٣) في النسخة (ط) زيد فيها.
[فقلنا: أين ظهرت الحكمة من الخصاب والوعد والوعيد من العالم الكبير].
(٤) في (خ): (من أسباب).
(٥) في (ط): (وأثر).
(٦) في (ط): (المخلوقة).
(٧) (وأعراب، ونقابله) هكذا من (خ).
(٨) في (ط): (عم).
(٩) في (ط): (فلا تظهر أبداً).
(١٠) في (ط): (الأثر).
(١١) في (ط): (العصر).

هذا المجموع بأحسن إيراد مختصراً كافياً مقنعاً والله ينفع العبد بما قصد ويسلك به الطريق الأقوم[1] الأسد.

(١) في (خ): (الأقوم الأبد).
والأسدُّ هنا من السديد.

مقدمة الكتاب

التصوف، صافاك الله، أمره عجيب، وشأنه غريب، وسره لطيف، وليس يُمنح[1] إلاّ لصاحب عناية وقدم صدق له أمور وأسرار غطى عليها[2] إقرار وإنكار. وسقنا هذه المقدمة توطئة لعلوم التصوف، فإن الإنكار عليه شديد، وشيطان المخالفة[3] له مَرِيد[4] على أنّا ما سقنا من هذه العلوم في هذا الكتاب إلاّ النذر اليسير في آخره وإشارات تتخلّله، فسُقنا هذه المقدمة لتلك الإشارات ومن أراد أن يقف من تواليفنا على جُلّ أسرار هذه الطريقة الشريفة فليطالع كتاب: (منهاج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء المخدّرات بخيمات اللقاء)[5]، وبنيناه على ثلاثمائة باب وثلاثة آلاف مقام، لكل باب عشرة مقامات كلها أسرار بعضها فوق بعض.

فوجدنا[6]، وفقك الله في سياق هذه المقدمة في هذا الكتاب التي هي كالعلاوة عليه أن يقف عليها السالك ابتداءً فتكون له عصمة من الإنكار على كلام أهل هذه الطريقة وما يقف

---

(١) في (خ): وليست بمنهج.

(٢) في (ط): (عليهن).

(٣) في (ط): (والشيطان المخالف).

(٤) أي: من المَرَدة.

(٥) كتاب [مناهج الارتقاء...].

يصف المؤلف هذا الكتاب في فهرسه بأنه: يحتوي على ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى وهو على ثلاثمائة باب. كل باب عشر مقامات ونفس هذا الوصف ذكره في مواضع أخر كما هنا بينما لا ينطبق هذا الوصف على ما رجعنا إليه من نسخ المخطوط. في ثلاث مواضع وهي نسخة (**فيض الله** ٢١١٩/٣٦٥ب - ٣٩٦ب).

نسخة (جامعة استانبول ٢٥٩٩/ ١ - ١٨ - سنة ١٠٦٣هـ).

نسخة (أورهان، بروس ٤٢/٦٤٣ - ٦٤ سنة ٩٨٠هـ).

انظر مؤلفات ابن عربي (د عثمان يحيى رقم ٨٩١هـ، ص ٥٨٩.

(٦) في (ط): (فرجونا).

عليه في داخل هذا الكتاب فيقع منه التسليم فربما يفتح له قفل السر الذي وقف عنده وسلمه فلهذا أوردناه[١]، جعلنا الله ممن حسن إسلامه وسلم ما لم يبلغه علمه آمين بعزّته.

فاعلم شرح الله صدرك أن مَبْنَى هذا الطريق على التسليم والتصديق حتى قال بعض السادة القادة: «لا يبلغ الإنسان درج[٢] الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق» ثم يُؤيّد قول هذا السيد[٣] بقول الشريف الرضي حفيد علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما):

[إنـي لأكـتـمُ مـن عـلـمـي جـواهـره ... كـي لا يـرى الحقّ ذو جـهـل فـيـفـتـتنا

فـقـد تـقـدم فـي هـذا أبـو حـسـنٍ ... إلـى الحسـين ووصـى قـبـلـه الحسـنـا][٤]

يـا رب جـوهـر عـلـم لـو أبـوح بـه ... لـقـيـل لـي أنـت ممـن يـعـبـد الـوثـنـا

ولاسـتـحـل رجـال مـسـلـمـون دمـي ... يـرون أقـبـح مـا يـأتـونـه حـسـنـا

فاشترط[٥] في إنكار هذا العلق[٦] النفيس رجالاً سماهم مسلمين قد وقفوا مع التخييل والتلبيس وكيف لا ينكر هذا الطريق وهل يبقى[٧] أثر للباطل عند ظهور الحق، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[٨].

ألم تـر أن الـلـه أعـطـاك صـورة[٩] ... تـرى كـل مـلـك دونـهـا يـتـذبـذب

بـأنـك شـمـس والمـلـوك كـواكـب ... إذا طـلـعـت لم يـبـد مـنـهـن كـوكـب

﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[١٠]، «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[١١] «إنه

(١) في (خ): (ما أوردناها).

(٢) في (خ): (وجه).

(٣) في (خ): (ثم تأيد نقل هذا السبب).

(٤) هذان البيتان سقطا من النسخة (خ).

(٥) في (خ): (واشترك).

(٦) بمعنى: التعليقة.

(٧) في (خ): (ينفا).

(٨) الآية رقم (٨١) من سورة الإسراء.

(٩) في (ط): (سورة).

(١٠) الآية رقم (٩١) من سورة الأنعام.

(١١) (حسنات الأبرار سيئات المقربين).
هو من كلام أبي سعيد الخراز كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار الصوفية مات رحمه الله، سنة مائتين وثمانين، وعدّه بعضهم حديثاً، وليس كذلك.
وحكاه بعضهم عن ذي النون المصري.
وعزّاه الزركشي في لقطته للجنيد.

ليغانُ على قلبي فأستغفر الله مائة مرة»[1]، فانظر هذين الشيئين[2] في عالم الحس الداخل تحت كل الحصر فكيف بعالم الملكوت فكل من تكلم من غير هذا المقام فإنه صاحب أضغاث أحلام، ألم ترَ إلى قول الجنيد: إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر وشتان بين من ينطق عن درسه ونفسه وبين من ينطق عن ربه ﴿وما ينطق عن الهوى﴾[3] فإياك وطلب الدليل من خارج فتفتقد إلى المعارج واطلبه من ذاتك لذاتك تجد الحق في ذاتك، أرأيت لما ثبتت نبوة رسول الله(صلى الله عليه وسلم) واستقر في نفوس العقلاء أنه(صلى الله عليه وسلم)، ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم وتعرفت عليهم وظائف التكليف، ولم يسألوا ما الدليل ولا ما العلة، ولقد كان أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ يسألون عن أشياء حتى نهوا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[4]، فقال الصحابي[5]: نُهينا أن نسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن تعرض لك أيها الأخ المسترشد من يعمل[6] عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان، يعني هل هذه الطريقة فيما يتكلمون[7] به من الأسرار الإلهية فاعرض عنه وقل له مجاوباً في مقابلة ذلك: ما الدليل على حلاوة العسل؟ ما الدليل على لذة الجماع؟ وأشباههما، وخبّرني ماهية هذه الأشياء؟ فلا بد أن يقول لك هذا العلم لا يحصل إلاّ بالذوق فلا يدخل تحت حدّ ولا يقوم عليه دليل فقل له: وهذا مثل لك، ثم اضرب مثالاً وقل له: لو كان لك دار بنيتها بيدك وما اطلع عليها أحد غيرك ففشا ذكرها فاتصل بمسامع[8] الناس خبرها ثم اصطفيت أحداً من

= وقال شيخ الإسلام:

الفرق بين الأبرار والمقربين، أن المقربين هم الذين أخذوا عن حظوظهم وإرادتهم، واستعملوا في القيام بحقوق مولاهم عبودية وطلباً لرضاه.

وإن الأبرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وإرادتهم وأقيموا في الأعمال الصالحة ومقامات اليقين ليجزوا على مجاهدتهم برفع الدرجات. انظر: العجلوني: **كشف الخفاء** ١/١١٣٧.

(١) حديث: (**إنه ليغان على قلبي**..).

أورده السيوطي وقال: رواه الإمام أحمد بن حنبل في **مسنده**، والإمام مسلم في **صحيحه**، وأبو داود في **السنن**، والنسائي في **السنن** انظر: جامع الأحاديث ٢/٦٤٧٦ ص ٥١٧.

(٢) في النسخة (خ): (هاذان البيتين).

(٣) الآية رقم (٣) من سورة النجم.

(٤) الآية رقم (١٠١) من سورة المائدة

(٥) انظر ما قيل حول هذه الآية من أحاديث أوردها السيوطي في **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** ٣/٢٠٤ وما بعدها.

(٦) في (ط): (ينفرك).

(٧) في (خ) (يتكلموا).

(٨) في (ط): (بأسماع).

التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل أن يجعل ما نطق به هذا الصوفي من قبيل الجائز، وإنما صار واجباً عندهم لا من حيث نفسه إلاّ من حيث العلم القديم بأنه سيكون، فإذا أتى هذا الصوفي بالجائز أو بموافقات العقول إذ النبوة والولاية فوق طور العقل. فالعقل إنما يقف أو يجوز لأنه ما أتى بشيء يهديه ركناً من أركان التوحيد ولا ركناً من أركان الشريعة، فما جرم المستمتع له في معرض الإنكار إلاّ قلة التصديق، فالصفة راجعة عليه، والصوفي منزه عما نُسب إليه فداؤك يا أخي دواك قبل حلول الهلاك ويموت الإنسان على ما كان عليه ويُحشر على ما عليه مات، وحذار وحذار من فوات هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار، فافترش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم، واخرج بالحرية عن رقّ الإنكار، واقعد على كرسي الفكر وافرغ عليك حلة المجاهدة، واجعل على رأسك تاج الموافقة، والمساعدة، وانظر النطق من غير محل الخطاب تجده الحق، وانظر المستمع تجده مستمعاً، ومسمعاً، مُخَاطِباً ومُخاطَباً فإذا كان هو المتكلم [والمكلم][1] والمستمع [والمسمع][2] فأنت عدم وإذا كنت موجوداً كما أنت حاضر، وإن كنت مفقوداً وكذلك أشار (صلى الله عليه وسلم) مخبراً عن ربه «**ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره**»[3]. الحديث.

فمن يكن الحق بصره فكيف يخفى عليه شيء، ومن كان لسانه كيف ينتهي كلامه، فتحقق هذه المقدمة وقف عندها تُرشد وتُحمد عاقبة أمركِ إن شاء الله ـ تعالى ـ فوفر دواعيك وفقك الله لما يودعه إليك في هذا الكتاب. والله ينفعنا وإياك بالعلم ويجعلنا من أهله. آمين. آمين بعزته (وقدرته)[4].

قال الإمام المؤلف[5] رضي الله عنه لما فرغنا من هذه المقدمة والتمهيد رأينا أن نقدم فصلاً في فهرست الأبواب رغبة في التيسير لمن أراد أن يقف على سر معين منها فينظر بابه في الفهرسة فيسهل عليه مطلبه إن شاء الله تعالى.

---

(١) ما بينهما سقط من (خ).

(٢) ما بينهما سقط من (خ).

(٣) حديث: (**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل...**). رواه ابن كثير في تفسيره ج٢ ص ٥٨٠، وانظر أيضاً فيض القدير ج٢ ص ٢٤١ وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٩٩.

(٤) ما بينهما زيادة من النسخة (خ).

(٥) هذا العنوان سقط من (ط).

فصل في فهرسة الأبواب

الباب الثامن:

في الفراسة الحكيمة والشرعية[1].

الباب التاسع:

في الكاتب وصفاته وكتبه.

الباب العاشر:

في المسددين العاملين أصحاب الجبايات والخراج.

الباب الحادي عشر:

في رفع الجبايات إلى الحضرة ووقوف الإمام عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه.

الباب الثاني عشر:

في السفر أو الرسل الموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن.

الباب الثالث عشر:

في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم.

الباب الرابع عشر:

في سياسة الحروب والمكائد وترتيب الجيوش عند اللقاء.

الباب الخامس عشر:

في ذكر السر الذي يغلب به أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه.

الباب السادس عشر:

في ترتيب الغذاء الجسماني والروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك وبقائه.

الباب السابع عشر:

في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله. وفي هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان وحضرة البارئ تعالى ـ وهو على خمسة أبواب:

الباب الأول:

كيف إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب.

---

(١) في (ط): الشرعية والحكمية.

الباب الثاني:

في الحُجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت.

الباب الثالث:

في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات.

الباب الرابع:

في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع.

الباب الخامس:

في الوصية للمريد السالك وهو على فصول، وبه ختم الكتاب فجميع أبواب هذا الكتاب أحد وعشرين باباً نذكرها إن شاء الله في داخل الكتاب على ما هي عليه في الفهرسة. وهذا حين ابتدائي. وبالله أستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم[1]

الباب الأول:
في وجود الخليفة الذي هو ملك البدن وأغراض الصوفية رضي الله عنهم ـ فيه، وتعبيرهم عنه، وهو الروح الكلي

قد نبّه سبحانه عليه في قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[2] واعتباره في العالم الأصغر استخلاف الروح في أرض البدن قد قدمنا في صدر هذا الكتاب قصدنا فيما أشرنا إليه وعزمنا على إخراجه في هذا المجموع ومهدناه مخافة الطعن من النقاد العُمي الذين ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[3] وأعربنا عن حقيقة ما أردنا حتى لا يجد الناقد إليه مساغاً، فنقول على بركة الله تعالى: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[4]:

كان سبب تأليفنا لهذا الكتاب أنه لما زرت الشيخ الصالح «أبا محمد الموروري» بمدينة «مورور»: وجدت عنده سر الأسرار صنعة[5] الحكيم لذي القرنين لما ضعف عن المشي معه فقال لي أبو محمد: هذا المؤلف قد نظر في تدبير هذه المملكة الدنياوية، فكنت أريد منك أن تقابله بسياسة المملكة الإنسانية التي فيها سعادتنا فأجبته وأودعت هذا الكتاب من معاني تدبير الملك

(١) في (ط): (عونك اللهم يا معين).
(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.
(٣) الآية رقم (٧) من سورة الروم.
(٤) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.
(٥) في النسخة (ط): (صنَّفَهُ).

أكثر من الذي أودعه الحكيم، وبنيت فيه أشياء أغفلها الحكيم في تدبير الملك الكبير، وعلقته من دون الأربعة أيام بمدينة «موررو»، ويجيء جزم كتاب الحكيم في الربع أو الثلث من جزم هذا الكتاب، فهذا الكتاب ينتفع به خادم الملوك في خدمته وصاحب طريق الآخرة في نفسه وكل يُحشر على نيته وقصده والله المستعان.

اعلم نوّر الله بصيرتك أن أول موجود اخترعه الله تعالى ـ جوهر بسيط روحاني فرد غير متحيز في مذهب قوم، ومتحيز في مذهب آخرين على حسب ما يرد الكلام على ماهيته في الباب الثاني من هذا الكتاب إرادة واختياراً، ولو شاء ـ سبحانه ـ لاخترع موجودات متعددة دفعة واحدة خلافاً لما تدعيه الفلاسفة[1] من أنه لا يصدر عن الواحد إلاّ واحد، ولو كان هذا لكانت الإرادة قاصرة، والقدرة ناقصة، إذ وجود أشياء متعددة دفعة واحدة ممكن لنفسه غير ممتنع، والممكن محل تعلق القدرة، فإن ثبت أن أول موجود واحد فاختياراً منه تعالى.

قال محمد بن علي[2]: وعبّر أهل الحقائق عن هذا الخليفة بعبارات مختلفة لكل عبارة منها معنى.

فمنهم: من عبر عنه بالإمام المبين، ومنهم من عبر عنه بالعرش، ومنهم: من عبر عنه بمرآة الحق، إلى أشباه ذلك.

فلنذكر الآن تعبيرهم عنه ولأي معنى خصوه بتلك العبارات على حسب ما ظهر من الاعتبار في صفاته التي وهبه الله ـ تعالى ـ وخصه بها.

فصل

قال محمد[3]: ذكر القوم ـ رضي الله عنهم ـ ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي[4] ـ رضي الله عنه ـ أن هذا الخليفة الذي هو الروح من عالم الأمد وليس من عالم الخلق اصطلاحاً واحتجوا بقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[5] وجعلوا من هنا للتبيين، وأرادوا بعالم الأمر

---

(١) في النسخة (ط): (بعض الناس).

(٢) أي: المؤلف.

(٣) نفس الإشارة السابقة.

(٤) (الإمام أبو حامد الغزالي): متكلم، لقب «حجة الإسلام» ولد بالقرب من طوس (خراسان) نشأ أولاً نشأة صوفية ثم انصرف إلى دراسة الفقه والكلام والفلسفة» علّم في المدرسة النظامية ببغداد، وكتب «تهافت الفلاسفة» وفيه كفر الفلاسفة أو بدّعهم، ثم مرّ بمرحلة من الشك قادته إلى الصوفية فترك التدريس وتبع طريق الصوفية. وبعد عشر [illegible]ت تجول فيها بين دمشق والقاهرة ومكة وعاد إلى نيسابور ومنها إلى طوس حيث توفي ٥٠٥ هـ/١١١١م. له «إحياء علوم الدين» و«المنقذ من الضلال».

(٥) الآية رقم (٨٥) من سورة الإسراء.

كل من صدر عن الله بلا واسطة إلاّ بمشاقهة من العزيز، وهو السبب الثاني بالإضافة إلى الموجود المطلق، والسبب الأول بالإضافة إلى الموجود المقيد فهو أول في المبدعات وعالم الخلق كل موجود صدر عن سبب متقدم من غير مشاقهة الأمر التي هي الكلمة قال الله ـ تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[1] إشارة إلى أنه سيد العالم، وخالقه، ومربيه فإذا تقرَّر هذا فلا مُشاحة في الألفاظ إذا عرف حقيقة المعنى، ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[2].

العبارات المصطلح عليها

قال محمد[3]: فأما ما أطلق عيه بعض المحققين من أهل المعاني ـ رضي الله عنهم:

المادة الأولى، وكان الأَوْلَى أن يطلقوا عليه الممد الأول في المحدثات لكنهم سموه بالصفة التي أوجده الله سبحانه ـ لها، وهذا ليس ببعيد أن يسمى الشيء بما قام به من الصفات.

قال محمد: وإنما عبر عنه بالمادة الأولى لأن الله تعالى خلق الأشياء على ضربين منها ما خلق من غير واسطة سبب وجعله سبباً لخلق شيء آخر، والاعتقاد الصحيح أنه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب خلافاً لمخالفي أهل الحق، والذي يصح أن أول موجود مخلوق من غير سبب متقدم، ثم صار سبباً لغيره، ومادة له ومتوقفاً ذلك الغير عليه على العقد الذي تقدم كتوقف الشبع على الأكل، والريّ على الشرب عادة، وكتوقف العالم على العلم، والحي على الحياة عقلاً، وأمثال هذا، وكتوقف الثواب على فعل الطاعة، والعقاب على المعصية شرعاً فلما لحظوا هذا المعنى سموه المادة الأولى وهو حسن ولا حرج عليهم في ذلك شرعاً ولا عقلاً.

وعبّر عنه بعضهم **بالعرش**:

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما كان العرش محيطاً بالعالم في قول أو هو جملة العالم في قول آخر وهو منبع إيجاد الأمر والنهي، ووجدوا هذا الموجود المذكور آنفاً يشبه العرش من هذا الوجه، أعني الإيجاد والإحاطة، فكما أن العرش محيط بالعالم وهو الفلك التاسع، كذلك هذا الخلق محيط بعالم الإنسان ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[4] استوى في معرض التمدح، فلو كان في المخلوقات أعظم منه لم يكن ذلك تمدحاً.

---

(١) الآية رقم (٥٤) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

(٣) في (ط): (قال المؤلف).

(٤) الآية رقم (٥) من سورة طه.

سِرٌّ للخواص:

هنا سر نرمزه، ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه وهو قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمن وهو محل الصفة والخليفة الذي سميناه عرشاً حملاً على هذا مستوى الله ـ جلَّ جلاله ـ فبين العرشين بايين الله والرحمن. وإن كان ﴿أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[1] فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه، وجَدّ الاستواء من هذا العرش المرموز قوله(صلى الله عليه وسلم): «**إن الله خلق آدم على صورته**»[2]، فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقق أيها العارف وتنبه أيها الواقف، وانعم أيها الوارث ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[3].

وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأول:

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما تحققت عندهم خلافتهُ وأنه حامل الأمانة الإلهية، ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر، وقد قيل في آدم: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[4] كذلك هذا الموجود ثم خاطب الملائكة: ﴿فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا﴾[5]. فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا فأمرهم سبحانه بالسجود لمعلمهم سجود أمر كسجود الناس للكعبة، وتشريف لا سجود عبادة نعوذ بالله لا أشرك به أحداً، ويكون في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود ولا نفس السجود إنما هو التواضع والخضوع والإقرار بالسبق والعجز والشرف له والتقدم كتواضع التلميذ لمعلمه، وإذا حصل موجود في مقام يعلم منه الملائكة فأحرى من دونهم وذلك تشريف من الله سبحانه، ودليل قاطع على ثبوت إرادته يختص برحمته من عباده من يشاء.

سر للخواص:

وهو حين أوقع الأسماء هل عاين المسميات أم لا؟ وإلا كيف يصح إطلاق اسم من غير مسمى، وهذا موضع نظر وفكر، وسر السجود هنا لا يمكن إيضاحه وقد ذكرناه (في مطالع

---

(١) الآية رقم (١١٠) من سورة الإسراء.

(٢) حديث: (**إن الله خلق آدم على صورته**): أورده الحميدي في مسنده عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله (ص). انظر مسند الحميدي ج٢ ص ٤٧٦. صحيح ابن حبان ج١٢ ص٤١٩ مسند ابن حنبل ج٢ ص ٥١٩.

(٣) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

(٤) الآية رقم (٣١) من سورة البقرة.

(٥) الآيتان (٣١، ٣٢) من سورة البقرة.

الأنوار الإلهية)[1] فأما هل عاين المسميات [فقد نبّه على ذلك تعالى بقوله: ﴿بأسماء هؤلاء﴾ فالهاء للإشارة والتنبيه][2] ولا تقع إشارة إلاّ على حاضر، وإن كانت الإشارة في هذا الطريق نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة، فنقول: إنه عاين المسميات لكن على صورة ما وذلك أنه عاينها في نفسه من حيث أنه مجمع أسرار العالم، ونسخته الصغرى، وبرنامجه الجامع لفوائده وهذه فائدة الإشارة بقوله تعالى ﴿هؤلاء﴾ في حقنا [وهو المطلوب والغرض في هذا الكتاب][3].

وعبر عنه بعضهم:

مرآة الحق والحقيقة قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما رأوها[4] موضع تجلي الحقائق والعلوم الإلهية، والحكم الربانية، وأن الباطل لا سبيل له إليها إذ الباطل هو العدم المحض ولا يصح في العدم تجلي ولا كشف، فالحق كلما ظهر في الوجود وفي إيراد الشبهات المعارضة للأدلة يتضح ما أردنا.

سر للخواص:

السبب الموجب لكونه مرآة الحق قوله (صلى الله عليه وسلم): «**المؤمن مرآة أخيه**»[5] والأخوة هنا عبارة عن المثلية اللغوية في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾[6] وذلك عند بروز هذا الموجود في أصفى ما يمكن وأجلى ظهر فيه الحق بذاته وصفاته المعنوية لا النفسية وتجلى له حضرة الجود، وفي هذا الظهور الكريم قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[7] فتأمل هذه الإشارة فإنها لباب المعرفة وينبوع الحكمة.

وعبر عنه الشيخ العارف أبو الحكيم بن برجان رضي الله عنه:

بالإمام المبين وهو اللوح المحفوظ المعبّر عنه بكل شيء في قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح

---

(١) كتاب: **مطالع الأنوار الإلهية**. لم نقف على نسخته المخطوطة، انظر رقم (٨٣٠) من كتاب مؤلفات ابن عربي عثمان يحيى ص ٥٦٤.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (خ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (ط).

(٤) أي: الخلافة للخليفة.

(٥) حديث: (المؤمن مرآة أخيه).

رواه العسكري في الأمثال عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر السيوطي: **جامع الأحاديث** ٦٩٢/٦ حديث رقم (٢٣٥٩٨) وانظر أحاديث كثيرة حول (المؤمن مرآة المؤمن).

(٦) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٧) الآية رقم (٤) من سورة التين.

من كل شيء﴾[1]. وهو اللوح المحفوظ ﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾[1] وهو اللوح المحفوظ، هذا دليل أبي الحكيم ـ رحمه الله ـ على تسميته كل شيء، والذي حمله على ذلك قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[2] ووجدنا العالم كله أسفله وأعلاه محصى في الإنسان فسميناه الإمام المبين، وأخذناه تنبيهاً من الإمام المبين الذي عند الله ـ تعالى ـ فهذا هو حفظاً منه، فتدبر هذا وتحققه.

سر للخواص:

قال تعالى: ﴿ما فرَّطنا في الكتاب من شيء﴾[3] اعتباره الذي هو الإنسان من شيء تفضل في العالم بأسره، الإمام على الحقيقة المبين من كان كل شيء مأموماً به، وهذا لا يصح في موجود ما لم يصح له المثلية اللغوية الفرقانية، فإذا صحت المثلية صح وجود الإمام، وإذا صح وجود الإمام بطلب الإمامة في حق غيره. ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا﴾[4] فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة فوجدناه استوجبها بأسرار وصفات هو عليها فقلنا: هي من نفسه أو من غيره فوجدناها أمانة بيده فقرأنا: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[5] فلاحت مرآة الحق المتقدمة. فضربنا الإمام المبين في المؤمن مرآة أخيه، فخرج لنا واحد في الخارج فسماه بعضهم مرآة، وبعضهم إماماً فالإمام كتابي والمرآة سُنّية.

وعبر عنه بعضهم بالمفيض

وبه كان يقول شيخنا وعمادنا (أبو مدين)[6] شيخ الشيوخ ـ رضي الله عنه ـ أخبرني بذلك عنه غير واحد ممن أثق به.

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما رأوا الأجسام بيوتاً مظلمة وأقطاراً سوداً مدلهمة[7] فإذا غشيها نور الروح أضاءت، وأشرقت كالأقطار إذا غشيها نور الشمس، وبالضرورة نعلم أن النور الذي في بغداد غير النور الذي في مكة، فالنور الذي في موضع ما غير النور الذي في غيره، ثم نظرنا في السبب لوجود تلك الأنوار التي خلقها الله ـ تعالى ـ عنده لا

---

(١) الآية رقم (١٤٥) من سورة الأعراف.
(٢) الآية رقم (١٢) من سورة يس.
(٣) الآية رقم (٣٨) من سورة الأنعام.
(٤) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.
(٥) الآية رقم (٥٨) من سورة النساء.
(٦) (أبو مدين): شيخ المشايخ شعيب بن الحسين الأندلسي توفي بعباد تلمسان سنة أربع وتسعين وخمسمائة.
(٧) في (ط): (مدمهلة).

به فوجدناه جسماً كروياً نورانياً يقال له: الشمس فكل موضع يقابلها من الأرض يخلق الله فيه نوراً يسمى شمساً، فكما تطلق على كل نور خلق في الأرض في مقابلة الشمس شمساً ليس يبعد، ولا يمنع أن نطلق على كل نور أضاءت به أرض الأبدان روحاً، وكما تختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدرنة كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها فلا يكون قبول البهيمة لفيضانه كقبول الإنسان، ولا قبول الإنسان كقبول الملك، فلو سمينا الشمس بالمفيضة صدقنا، وحقيقة الإفاضة في الماء وهو مجاز من غيره، ونسبة هذه الأرواح عندهم إلى الروح الكلي كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام، وكذلك يثابون إن عدلوا ويعاقبون إن جاروا.

سر للخواص:

قال الله جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾[1] اعتبار الربوبية هنا سيادة المعلم الأول وترتيبه وتأثير سببيته وهو المرجوع إليه في قوله تعالى على طريق التنبيه: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾[2] ونُور هذا الرب المنبه عليه هو الروح الحيواني الذي به تشترك البهيمة والإنسان، فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام، واعتبار النوم بغروب الشمس، واعتبار الغفلة بالحجاب الهلالي، ثم قد يغرب الإمام ويبقى الوزير بدله يفيض على المملكة كالقمر ليلاً، وليس كفيضان الإمام، وفيض مادة الوزير وفيضانه أنه فيض بالنظر إلى النفس النباتية، وهي الحجاب لمادة النفس المطمئنة، وقد يغيبان[3] أعني الإمام والوزير فيبقى الفقهاء نجوم علوم الأحكام، فلا يستطيعون إفاضة لقهر النفس الحيوانية البهيمية، والنفس السبعية واستيلاء سلطانهما، فتأمل هذا السر تبدُ لك الحكمة الإلهية.

وعبَّر عنه بعضهم بمركز الدائرة

[وبه يقول بعض أصحابنا، ولقد أنشدني أبياتاً في هذا الغرض المذكور فمنها قوله:

يا سائلي ما الحكمة الظاهرة ... قلت له كرية دائره

فقال هل في غيبها مثلها ... قلت له بسيطة باهره

قسمها الحق لنا قسمة ... وكلة النور لها سافره

أركانها قد قسمت أربعاً ... إحدى زوايانا لها قاهره[4]

---

(١) الآية رقم (٦٩) من سورة الزمر.

(٢) الآية رقم (٢٧، ٢٨) من سورة الفجر.

(٣) في النسخة (ط): (يضيئان).

(٤) هذا البيت سقط من السياق ومستدرك من الناسخ.

ومـــركـــز الـــروح لـــهـــا بـــداءة ودورة الجســـــم لـــــهـــــا آخـــــره
فـــالـــفـــطـــرة الأولـــى لـــهـــا أول وصـــبـــغـــة الـــلـــه بـــهـــا ســـافـــره
والـكـــون والــتــكــويــن فــي ربــعــهــا وربــعــهــا أعـــمـــارنـــا الـــســـائـــره
وربـــعـــهـــا الـــرابـــع دار الـــبـــقـــا ورؤيـــــة الحق بـــــهـــــا بـــــاهـــــره

فصرح ـ رضي الله عنه ـ: ومن سلك ذلك المسلك بأن هذا الخليفة هو مركز الدائرة أعني دائرة الكون، إلى هنا ليس من الأصل][1].

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنهم لما نظروا ـ رضي الله عنهم ـ إلى عدل هذا الخليفة في ملكه واستقامة طريقته في هباته وأحكامه وقضاياه سمّوه مركز دائرة الكون لوجود العدل به وإنما حملوه على مركز الكرة نظراً إلى أن كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساوياً لصاحبه، رأوا ذلك غاية العدل فسموه مركز الدائرة لهذا المعنى.

سر للخواص:

وذلك أن نقطة الدائرة أصل في وجود المحيط ومهما قدرت كرة وجوداً أو تقديراً فلا بد أن تقدر لها نقطة في مركزها ولا يلزم من وجود النقطة وجود المحيط. ووجود الفاعل من هذه الدائرة رأس الضابط ولا دائرة في الوجود، كان الله ولا شيء معه[2] وفخذاه يداه المبسوطتان جوداً وأمجاداً، والفخذ المختصة بالنقطة يد الغيب والملكوت الأعلى، والفخذ المختصة بالمحيط يد عالم الملك والشهادة، فالواحدة للأمر والأخرى للخلق والله بكل شيء محيط، ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾[3] فيدُ المركز معرّاة عن الحركة القاطعة الأحياز، ويد المحيط متحركة فتأمل نوّر الله بصيرتك لهذه الإشارات فقد مُهِّدَ لك السبيل.

قال محمد[4]: ولو تقصيت آثاره وتتبعت خصائصه وأطلقت[5] عليه من ذلك ألقاباً[6] لما وسعها ديوان فاقتصرنا من هذا الإيجاز على هذا القدر لندل بذلك على شرفه واجتبائه من بين سائر المحدثات.

---

(١) ما بين المعقوفتين كما هو واضح من الناسخ، لأن الناسخ، كان أميناً وكتب هذه العبارة [إلى هنا ليس من الأصل] وهو أيضاً غير موجود في النسخة (ط).

(٢) هذه العبارة كتبت في (ط):
(وكان الله فلا شيء معه).

(٣) الآية رقم (٩) من سورة مريم.

(٤) في (ط): (قال المؤلف).

(٥) في (خ): (وأطلق).

(٦) في (خ): (ألقاب).

الباب الثاني:
في الكلام على ماهيته وحقيقته

اختلف العلماء ـ رضي الله عنهم ـ في هذا الروح الذي عبرنا عنه بالخليفة فمنهم من قال: إنه جوهر فرد متحيز، وزعموا أنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني، وأنه حامل الصفات المعنوية، وزعم قوم أن الإدراكات مختصة بمحَالِّها لكن الله ـ تعالى ـ قد ربط وجودها في الجسم وبقاءها ببقاء الروح، فإذا فارق الروح الجسد ذهبت الإدراكات لذهابه، وزعم قوم أنه جسم لطيف يتشبث بأجزاء البدن متخللها كتخلل الماء الصوفة، وأنه ليس له محل من الجسم يخصه.

وقال (عبد الملك بن حبيب)[1]: إنه صورة لطيفة على صورة الجسم، لها عينان، وأذنان، ويدان، ورجلان في داخل الجسم يقابل كل عضو وجزء منه نظيره من البدن وهؤلاء كلهم أحالوا أن يكون عَرَضاً، فقيل لهم: وما المانع من ذلك؟ فقالوا: لم يكن يبعد عندنا ذلك لنفسه، لكن السمع منع من ذلك في قوله: «إن الأرواح تتنعم وتتعذب وإنها باقية»، وهاتان الصفتان ليستا من صفة العرض، فإن النعيم يؤدي إلى قيام المعنى بالمعنى، وهذا محال عقلاً عند أكثر العقلاء والشرع ليس يأتي بالمحال، والحديث الثاني في بقائها يناقض دليل العقل لو كان عرضاً لاستحالة بقاء الأعراض، فإنها تجدد في كل زمان ولكان للحيوان على هذا القول أرواح متعددة بعدد أزمانه المارة عليه، وهذا كله باطل، والذي زعم أنه ليس بجوهر دليله على ذلك تماثل

---

(١) (عبد الملك بن حبيب): الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسي الأندلسي القرطبي. ولد بعد السبعين ومائة، وأخذ عن صعصعة بن سلام والغازي بن قيس، وحجّ فأخذ عن عبد الملك بن الماجشون وأسد السنة وأصبغ بن الفرج وطبقتهم، ورجع إلى الأندلس بعلم جمّ روى عنه كثيرون. قال ابن الفرضي: كان فقيهاً نحوياً شاعراً إخبارياً نسّابة، طويل اللسان متصرفاً في فنون العلم. مات في رابع رمضان سنة ثمان رحمه الله تعالى (تذكرة الحفاظ ج٢ ص ٥٣٧).

الجواهر، فلو جاز أن جوهر واحد روحاً لكان كل جوهر روحاً وقد قام الدليل على بطلان هذا في مسألة العقل فإن الذي زعم أن الروح جوهر أحال أن يكون العقل جوهراً للتماثل، وإذا بطل أن يكون جوهراً بطل أن يكون جسماً، لأن الجسم جواهر مؤتلفة جوهران فصاعداً. وزعم قوم أنه جوهر محدث قائم لنفسه غير متحيز وهو من أحد أقوال الإمام أبي حامد الغزالي[1] فيه المنسوبة إليه، وأنه لا داخل الجسم ولا خارج عنه ولا متصل به ولا منفصل عنه، وذلك لعدم التحيز الذي يكون به التصرف في الجهات وهو المصحح[2] للاتصال والانفصال واعترض عليهم بأنه لا يخلو عن الشيء أو ضده إن كان له ضد فقالوا: يُعَرَّى عنهما إذا كان وجود كل واحد منهما للشيء مشروطاً بشرط، فمتى انعدم الشرط، انعدم المشروط، والشرط المصحح للاتصال والانفصال التحيز، وقد انعدم في حق هذا الموجود، كما تقول في الجماد لا عالم ولا جاهل ولا ضد من أضدادها، فإن الشرط المصحح لقيام العلم أو أضداده بالجسم إنما هي الحياة ولا حياة في الجماد، فقيل لهذا: وما المانع أن يكون عرضاً؟ فاستدل بذلك من قال: إنه جوهر وأبطل أن يكون عرضاً، فقيل له: فهو جوهر فاستدل بدليل من قال: إنه عرض، وأبطل أن يكون جوهراً مع اعتقاد حصر المحدثات في جوهر متحيز وعرض، ثم قال لهم: فقد بطل أن يكون جوهراً، وبطل أن يكون عرضاً ومتحيزاً أو قائماً بمتحيز وهو موجود ليس هو الله سبحانه، وقد بطل حصركم ولاَحَ موجود خامس، وهو ما ذكرناه على الوصف الذي ادعيناه قلنا: ولم نرجح أحد هذه الأقوال مع العلم أن الحق في أحدها لقول القائل (شعر):

إن الخليفة قد أبا ... وإذا أبا شيئاً أبيته

لكن ذكرنا ذلك في غير هذا الكتاب، قلنا: فلما وجدنا هذا الخليفة على حسب ما أوجده قال له: أنت المرآة وبك ننظر إلى الموجودات، وفيك ظهرت الأسماء والصفات أنت الدليل عليَّ وجهتك خليفة في عالمك تظهر فيهم بما أعطيتك تمدهم بأنواري، وتغذيهم بأسراري وأنت المطالب بجميع ما يطرأ في الملك.

استدراك:

قلنا: هذا خلاف لا يضر ولا يهد ركناً من أركان الشريعة إذ قال كل واحد على مذهبه فيه أنه محدث وإذا كان هذا فهو المراد، والله يوفق الجميع. ويقول الحق وهو يهدي السبيل[3] هـ.

---

(١) (تقدمت ترجمته).

(٢) في (ط): (وهو الشرط المصحح).

(٣) في (ط): (والله يوفق الجميع).

الباب الثالث:
في إقامة مدينة الجسم وتفاصيلها من جهة كونها مُلكًا لهذا الخليفة

اعلم أن الله ـ تعالى ـ لما أوجد هذا الخليفة الذي ذكرناه آنفاً بنى له سبحانه مدينة يسكنها رعيته، وأرباب دولته تسمى حضرة الجسم أو البدن، وعيّن للخليفة منها موضعاً إمّا أن يستقر فيه على مذهب من قال: إنه متحيز أو يحل فيه على من قال: قائم بمتحيز، وإما أن يكون ذلك الموضع المعين له موضع أمره وخطابه، ونفوذ أحكامه، وقضاياه على من أثبته غير متحيز، ولا قائم بمتحيز، فأقام له ـ سبحانه ـ مدينة الجسم على أربعة أعمدة، وهي: الاسطقسات[1] والعناصر.

وسمى ـ سبحانه ـ الموضع المعين للخليفة منه القلب، وجعله مسكن الخليفة، أو موضع أمره على ما ذكرناه من الخلاف.

وقال قوم: إن موضعه الدماغ والأظهر عندي من طريق التّنْبيه والاستقراء لا من جهة البرهان أنه القلب شرعاً، لقوله (صلى الله عليه وسلم) مخبراً عن ربه: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي**»[2] وقال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[3].

---

(١) الإسطقسات: الإسقطس هو الأصل والعنصر، وهي الماء والأرض والهواء والنار على زعم الأقدمين (يونانية).

(٢) حديث: (**ما وسعني أرضي ولا سمائي**) انظر جامع العلوم والحكم ج١ ص ٣٥٦. فيض القدير ج٢ ص ٤٩٦ وكشف الخفاء ج٢ ص ١٢٩ و٢٥٥ و٤٣١.

(٣) حديث: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم...**) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ج٤ ح٢٥٦٤، وابن كثير في تفسيره ج٣ ص٤٤٩ وج٤ ص٢١٨.

وذلك أن المستخلف إنما نظره أبداً في خليفته ما يفعله فيما قلده، والله ـ سبحانه ـ قد استخلف الأرواح على الأجسام، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قوله ـ تعالى: ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[1]. وليست الإشارة للقلب النباتي، فإن الأنعام يشاركوننا في ذلك لكن للسر المودوع فيه وهو الخليفة، والقلب النباتي قصره.

وقال (صلى الله عليه وسلم): «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب**»[2].

فالقلب النباتي لا فائدة له إلاّ من حيث هو مكان لهذا السر المطلوب المتوجه عليه الخطاب والمجيب إذا ورد السؤال والباقي إذا فني الجسم، والقلب النباتي، فتقول: كذلك إذا صلح الإمام صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت. بذا جرت العادة وارتبطت الحكمة الإلهية.

[قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه ـ][3]: سر فساده، وصلاحه المرتبط بصلاح الرعية وفسادها سبب ذلك أن الله ـ تعالى ـ إذا ولَّى خليفة قوماً فإنه يعطيه أسرارهم، وعقولهم، فيكون إذْ ذاك مجموع رعيته فمتى خانهم في أسرارهم [وعقولهم][4] ظهر ذلك فيهم، وإن اتقى الله في ذلك ظهر ذلك عليهم، وقد تكون أسرار رعيته حين تعطاه رذلة ناقصة، ولهذه الإشارة مثل ما تكونوا يولّى عليكم فإن غلب عليها صلاح الإمام، صلحت، وظهر آثار ذلك في الرعية وأرباب الدولة تمشية غيبية إلهية يجدها الإنسان في نفسه بعد أن لم تكن، ولا يدري من أين وردت عليه، ولا كيف حصلت له فهذا هو سرٌّ قوله (صلى الله عليه وسلم): «**إذا صلحت صلح سائر الجسد**» الحديث.

قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه[5]: ثم بنى الله سبحانه ـ له منتزهاً عجيباً عالياً مشرفاً في أرفع مكان في هذه المدينة سماه الدماغ، وفتح له فيه طاقات وخوخات[6] يشرف منها على ملكه وهي: الأذنان والعينان والأنف والفم، ثم بنى له في مقدم ذلك المنزه خزانة سماها خزانة الخيال جعلها مستقر جباياته، وموضع رفع ولات الحس وفيها مخزن جبايات المبصرات

---

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة الحج.

(٢) حديث: (**إن في الجسد مضغة...**) رواه البخاري في صحيحه ج١ ص٢٨ حديث ٥٢ ومسلم ج١ ص ١٨٨ حديث ١٥٩٩.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٥) في (ط): (قال المؤلف) فقط.

(٦) في (خ): (وخاخات). (والخوخة) هي: باب صغير كالنافذة الكبيرة وتكون بين بيتين، ينصب عليها باب. وفي الحديث: «**لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر**» (النهاية في غريب الأثر ج٢ ص٨٦).

والمسموعات والمشمومات، والمطعومات، والملموسات وما يتعلق بها.

ومن تلك الخزانة تكون المرائي، والأحلام التي يراها النائم وكما أن في الجبايات حلالاً وحراماً، كذلك في المرائي مبشرات وأضغاث أحلام.

وبنى في وسط هذا المنتزه خزانة الفكر الذي يرتفع إليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح، ويرد الفاسد، وبنى له في آخر هذا المنتزه خزانة الحفظ وجعل مسكن هذا الدماغ الوزير الذي هو العقل، وله باب في داخل الكتاب يخُصُّه فأضربنا هنا عن ذكره.

ثم أوجد له النفس:

وهي محل التغيير، والتطهير ومقر الأمر والنهي وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وحظها من العالم العلوي الكرسي، كما أن الروح محله العرش من ذلك العالم، والنفس هي كريمة هذا الخليفة وحُرَّته.

وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو حامد[1] في قوله: إن الروح نكح النفس فتولد ما بينهما الجسم، فقال مشيراً إلى ذلك في خطبه لباب الحكمة له ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات.

لكن المتصوفة اصطلحوا على كل فعل فيه حظٌّ لكون من الأكوان أنه نفس العين أنه عن أمر النَفس سواء كان ذلك العقل محموداً أو مذموماً وكل ما ليس فيه حظٌّ إلاّ الله تعالى ـ فهو روح، وأن الإنسان له ثلاث أنفس: نفس نباتية، وبها يشترك مع الجمادات، ونفس حيوانية، وبها يشترك مع البهائم، ونفس ناطقة وبها ينفصل عن هذين الموجودين، ويصح عليه اسم الإنسانية وبها يتميز في الملكوت، وهي الكريمة التي ذكرناها تحت هذا الخليفة.

[قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه][2]: ثم أوجد الله من تمام النعمة على الإنسان، وإكمال النسخة على الاستيفاء في هذه المملكة أميراً قوياً مطاعاً كثير الرجل والنحول قوي العَدد، والعُدد منازعاً لهذا الخليفة سماه: الهوى، ووزيراً سماه: الشهوة، فبرز يوماً في أجناده وخَوَله يتنزه في بعض بساتينه، فأشرفت النفس التي هي حرة الخليفة عليه، ونظر كل واحد منهما لصاحبه فعشقها الهوى فأعمل الحيلة في الاجتماع بها، فما زال يستنزلها، ويستعطفها، ويبسط لها حضرته ويهاديها بأحسن ما عنده ولم تزل رسل الأماني وسُفراء الغرور تمشي بينهما حتى مالت إليه، وانقادت. وملكها الإحسان والخليفة غافل عن هذا، والعقل الذي هو وزيره قد يشعر

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (ط).

بذلك وهو يسوس الأمر، ويخفيه عسى ألاّ يشعر بذلك الخليفة وترجع عما هي عليه فصارت النفس بين أمرين قويين مطاعين، هذا يناديها، وهذا يناديها، والكل بإذن الله ـ تعالى ـ الأصلي ﴿قل كل من عند الله﴾[1].

﴿كلاً نُمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك﴾[2] ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾[3] في أثر قوله: ﴿ونفس وما سواها﴾[3]. ولهذا جعلناها محل التطهير والتغيير فإن أجابت الهوى كان التغيير، وحصل لها اسم الأمَّارة بالسوء، وإن خالفت العقل كان التطهير وصح لها اسم المطمئنة شرعاً لا توحيداً، ووقوع هذا الأمر لحكمة لطيفة وسر عجيب، وهو أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة على ما وصفناه من الكمال أراد أن يعرفه سبحانه مع ذلك أنه فقير ولا حول ولا قوة إلاّ لسيّده الرب تعالى ـ فلهذا أوجد منازعاً ينازعه فيه قلّده، فلما رأى الروح أنه يُنادي، والنفس لا تجيبه، وقد قيل له: هو ملكك، قال لوزيره: ما السبب المانع لها من إجابتي؟ فقال له العقل: أيها السيد الكريم إن في مقابلتك موجوداً قام لها مقامك أميراً قويّاً[4] مطاعاً صعب المرتقى، عزيز المنال، يقال له: الهوى عطيته معجلة مشهودة، فأرسل وزيره إليها فبسط لها حضرته وعجل لها أمنيتها في أوحى زمان، فأجابت لدعائه، وانقادت له، وحصلت تحت قهره، واتبعها أجنادك وبادية رعيتك، وما بقي لك من مملكتك إلاّ أرباب دولتك المتحققون بحقائقك والمختصُّون بك وها هو قد نزل بفناء قصرك ليخربه ويخرجك عن ملكك ويستولي على عرشك فدرَّاك درَّاك قبل نزول الهلاك.

[**قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه ـ**][5]: فرجع الروح بالشكوى إلى الله القديم ـ سبحانه ـ فثبتت له في نفسه عبوديته بالافتقار، والعجز، والذلة، وتحقق التمييز، وعرف قدره، وذلك كان المراد، فإن الإنسان لو نشأ على الخير والنعم طول عمره لم يعرف قدر ما هو فيه حتى يُبتلى، فإذا مسّه الضر عرف قدر ما هو فيه من النعم والخيرات عند ذلك عرف قدر المنعم.

[**قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه ـ**][6]: فلما رجع الروح بالشكوى إلى ربه صار ـ سبحانه ـ واسطة بينها وبينه فقال لها: ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية

---

(١) الآية رقم (٧٨) من سورة النساء.

(٢) الآية رقم (٢٠) من سورة الإسراء.

(٣) الآيتان رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

(٤) في (خ): (قواماً).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[1] فلما أتاها النداء برفع الوسائط حنَّت وأنَّت، واشتاقت فأجابت وأنابت بالعناية الإلهية.

سؤال: فإن قيل: لم سماها مطمئنة وقال لها ﴿راضية مرضية﴾ وهي الآن أمارة بالسوء؟

قلنا: إنما سماها مطمئنة لتحقق إيمانها أن منادي الهوى لم يكن منادياً بنفسه، وإنما كان منادياً بموجده حيث علمت معنى قوله: ﴿قل كل من عند الله﴾[2] و﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء﴾[3] فاطمأنت للنداء لتحققها بالابتداء وقد تقدم السبب والعلة، وقوله ﴿راضية مرضية﴾ يريد بالنداءين، مرضية عندنا لتحقق إيمانها وتوحيدها.

﴿فادخلي في عبادي﴾: يعني عباد الاختصاص أهل الحضرة الإلهية ﴿وادخلي جنتي﴾: يريد المكاره التي هم نعم الخليفة إذ الشهوات جنة الكافر، وهي نار على الحقيقة، ظاهرها نِعم وباطنها جحيم، وقد نبّه على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: «**حُفَّت الجنة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات**»[4]. ويظهر ذلك الله ـ عزَّ وجلّ ـ عند خروج الدجال، فذكر النبي (صلى الله عليه وسلم): «**أن له واديين من نار وماء، فمن قصد النار وجد الماء، ومن قصد الماء وجد النار**».

فإن قيل: وكذلك أيضاً كانت تجيب داعي العقل وتسمعه من الحق كما ذكرت، فلما أجابت داعي الهوى ومرقت، قلنا: الجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنا فرَضْنا الكلام من أوله على أن الحق ـ تعالى ـ أراد أن يعرف الروح قدره للسبب الذي ذكرناه فأسمعها نداء الهوى، وأصمها عن داعي العقل ليقع ما أراده سبحانه.

والوجه الآخر: أن النفس بعض الروح كما كانت حواء بعض آدم فصار منادي الروح أصلاً من نفسها، ومنادي الهوى أجنبياً عنها، فالأصل حاصل والأجنبي غير حاصل فاشتاقت أن تعرف ما لم تعرف، فأجابته لترى ما ثم كما أجابت هوى إبليس في أكل الشجرة، ومن هنا وقعت بين الهوى والعقل الوقائع، والحروب، والفتن على هذا الملك الإنساني وقد يستولي

---

(١) الآية رقم (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) من سورة الفجر.

(٢) الآية (٧٨) من سورة النساء.

(٣) الآية رقم (٢٠) من سورة الإسراء.

(٤) حديث: (حُفت الجنة بالمكاره..).

متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لكن للبخاري حجبت بدل (حفت) في الموضعين. وعزاه في الدرر للشيخين عن أنس رضي الله عنه. والموجود فيهما عزوه لأبي هريرة رضي الله عنه.

انظر ما دار من ذلك حول (حجبت) و(حفّت) في كشف الخفاء للعجلوني حديث رقم (١١٥٢) ٣٦٢/١.

أحدهما عليه، وقد يؤخذ منه فيعزله، ويأسره، وربما يقتله في حق شخص ما.

هكذا استمرت الحكمة الإلهية حتى العرض الأكبر وربما يملك أحدهما البادئة والآخر الحاضرة، وقد يملك أحدها الملك كله ظاهراً وباطناً، فأما العصاة فإن سلطان الهوى مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم وأما المنافقون، فإن العقل مالك باديتهم والهوى مالك حاضرتهم، وأما المؤمنون المعصومون، والمحفوظون، فالعقل مالكهم بادية وحاضرة، وأما الكافرون فالهوى مالكهم بادية وحاضرة، وإذا كان في الدار الآخرة، وذبح الموت، وتميز الفريقان، ونفذ حكم الله ألحق العصاة بالمؤمنين المعصومين، فحصل لهم النعيم الدائم وألحق المنافقين بالكافرين، فحصل لهم العذاب اللازم، فلم يُغن المنافق عمله من الله شيئاً.

فإن التوحيد أصلٌ والعمل فرع، فإن اتفق على الفرع شيء يفسده ويهلكه جبره الأصل كالعصاة، وإذا حزب الأصل لم يجبره الفَرْع كالمنافق، فهذا الملك الإنساني يصرفه في الدنيا على أربعة أطباق لا بد من أحدهما في حق كل شخص: إما مؤمن معصوم أو محفوظ، وإما كافر أو مشرك أصلاً، وإما منافق وإما عاص، وإذْ قد تقرَّر هذا وثبت فلتذكر الآن السبب الذي لأجله نشأت الحروب والفتن بين العقل والهوى إذْ هذا موضعه. ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

الباب الرابع:
في ذكر السبب الذي لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى

اعلم، وفقك الله ـ أن السيد الذي لأجله نشأت الفتن ووقعت الحروب حتى كشفت عن ساقها وعمت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها هو طلب الرياسة على هذا الملك الإنساني ليخلصه من حصل بيده إلى النجاة إذ لا يصح عقلاً ولا شرعاً تدبير ملك بين أمرين متناقضين من أحكامهما ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾[1] وإن فُرِض اتحاد الإرادة في حق المخلوقين، فإن حكم العادة يأبى ذلك والشرع في حق هذين الأمرين وما سمعنا بخرقها في حق شخص قط وإذا كان هذا فلم يرد الله أن يدبر هذا الملك إلاّ واحداً وخرج بذلك على لسان رسوله (صلى الله عليه وسلم): «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[2].

والخلافة ظاهرة، وباطنة، وقد تقررت الظاهرة وثبتت وكلامنا هنا في الخلافة الباطنة على حسب الظاهرة أنبوباً على أنبوب وجَرْياً على ذلك الأسلوب.

اعتراض لكشف أسرار

قال الإمام المؤلف رضي الله عنه: وربما للمنازع أن يستروح من هذا الحديث شيئاً ما، فيقول: قد قال: اقتلوا الآخر منهما، وما يدريك لعل الهوى تقدم والعقل تأخر، فيكون الهوى

---

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.

(٢) حديث: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما).
رواه الإمام مسلم، والإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري عن علي والعباس معاً.
انظر ما قيل في ذلك في كشف الخفاء للعجلوني ٨٤/١. حديث رقم (٢١٢).
وانظر السيوطي: **جامع الأحاديث** وقال: رواه أحمد بن حنبل والإمام مسلم عن أبي سعيد أيضاً الحديث رقم (١١٥١) ٢٣٣/١.

صاحب الخلافة، فنقول: ليس التقدم والتأخر هنا بالزمان، وإنما التقدم هنا بإحصاء الشرائط أعْني شرائط الإمامة، ففي من وجدت كان المقدم للإمامة ويُخلع من لم تكمل فيه تلك الشرائط، ويُقبل إن عاند ولم يدخل في الأمر فلم يلتفت للزمان.

قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه: وشرائط الإمامة على ما ذكرته العلماء عشرة: ستة منها خِلقية لا تكتسب، وأربعة منها مكتسبة.

فأما الخِلقية: فالبلوغ، والعقل، والحرية، والذكورية ونسب قريش وفيه خلاف، ولم يره بعض العلماء وسلامة حاسة السمع، والبصر.

وأما الأربعة المكتسبة: فالنجدة أو الكفاية، والعلم، والورع قال: وهذه الشرائط كلها موجودة في هذا الخليفة والهوى مُعرَّى عنها. نعُوذ بالله لا أشرك به أحداً، فلنذكرها شريطة شريطة حتى نستوفيها ونبين أن الروح قد جمعها.

الشرط الأول في الخلافة:

البلوغ:

فإن الإمامة لا تنعقد لصبي اعتباره في الروح البلوغ ـ نور الله بصيرتك ـ أمر شرعي، وبلوغ الروح اتصاله بالإلهية، وقد ثبت اتصاله على ما ذكرناه، اتصال شرف، ورفعة، وبلوغ مقام كريم حين أخذ عليها الميثاق فقال لها: ألست بربكم قالت بلى، فلو كانت الأرواح غير بالغة لما تصور منها هذا الجواب ولا توجه عليها هذا الخطاب شرعاً.

الشرط الثاني:

العقل:

فإن الإمامة لا تنعقد لمجنون، إذ هو غير مخاطب، ولا تكليف عليه، والإمام مكلف، اعتباره الروح يعقل عن الله ـ تعالى ـ ما يرد عليه منه ولذلك قال: بلى، وهي صفة قائمة بها، عنها صدر العقل الذي جعلناه وزيراً له فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

الشرط الثالث:

الحُريَّة:

فإن الإمامة لا تنعقد لرقيق، وذلك أن الإمامة تستدعي أن يستغرق الإمام أوقاته في أمور الخلق، وهذا لا يتفق للعبد إذْ سيده مالك له، يقطع عليه النظر في مهمات الخلق بأشغاله في تصرفاته، اعتباره لا يوجد أشد حرية منه ولا أكمل، إذ ليس لأحد عليه ملك إلاّ الله ـ تعالى ـ وكيف يتصور ذلك وهو أول المحدثات، وكون الإمام مستغرقاً في مهمات [الخلق، فكذلك

الروح مستغرق في مهمات][1] مُلْكه قال الله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار ولا يفترون﴾[2].

الشرط الرابع:

الذكورية:

فإن الإمامة لا تنعقد لامرأة، والذي منع من ذلك أنه ليس لها منصب القضاء، ولا منصب الشهادات في أكثر الحكومات شرعاً، اعتباره هذا بيّن بنفسه لا يحتاج إلى شرح، والذي منع أن تكون النفس، وإن اتصفت بصفات الكمال، فإنها في الكون تحت حجاب الصون وهي كريمة هذا الإمام وهي محل الفجور والتقوى والعلة مطردة في الخلافتين معاً.

الشرط الخامس:

النسب:

اعتباره الدخول في المقامات المحمدية وهي الدورة الثانية الإلهية التي حضرت الأولية والآخرية بعث آخراً قيل له، متى كنت نبياً قال (صلى الله عليه وسلم): «**وآدم بين الماء والطين**»[3]، فانتهت في عيسى ـ عليه السلام ـ الدورة من آدم ولذلك جعله في كتابه.

كما قال: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾[4] فختم بمثل ما بدىء واختصت الدورة الثانية الحاكمة على الكل المحمدية المحيطة بجوامع الكلم وهي الدورة التي من الشرق إلى الغرب فكما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أرسل إلى الكافة، كذلك الروح أرسل إلى كافة البدن، وفي هذا سر عجيب نذكره في غير هذا الكتاب، فهذا فائدة النسب للروح.

الشرط السادس:

سلامة حاسة السمع والبصر:

إذْ الأعمى والأصم لا يتمكن من تدبير نفسه فكيف يدبر غيره اعتباره في الروح سماعه بالحق، ونظره بالحق، فتقدس عن الآفات وتنزه. قال (صلى الله عليه وسلم) مخبراً عن ربه: «**ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره**

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (خ).

(٢) الآية رقم (٢٠) من سورة الأنبياء.

(٣) حديث: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين). قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث صحيح. انظر كشف الخفاء ج٢ ص ١٧٣ حديث ٢٠١٧.

(٤) الآية رقم (٥٩) من سورة آل عمران.

الذي يبصر به»[1] وهنا سر يبحث عنه فإنه كذلك كان فمن كان الحق سمعه وبصره كيف لا يدبر نفسه وغيره.

الشرط السابع والثامن:

النجدة والكفاية:

وهما من صفات الأرواح ألا ترى أن الله تعالى إذ أراد نصرة عباده أمدهم بملائكته، وأيدهم بهم قال تعالى: ﴿إني مُمدّكم بألف من الملائكة﴾[2] وقال: ﴿وأيدهم بروح منه﴾[3].

الشرط التاسع:

العلم:

وهذا قد ظهر في آدم ـ عليه السلام ـ حين علم الأسماء كلها فلا يحتاج إلى ذكره.

الشرط العاشر:

الورع:

وهو منبعه وإليه مرجعه إذ الشريعة رداؤه، والحقيقة إزاره، فقد تكملت الشرائط في هذا الخليفة وصحت خلافته وانعقدت إمامته.

قلنا: فلنرجع إلى السبب الذي لأجله وقعت الحروب والفتن بينهما؟ فأقول: إن السبب في ذلك طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني، فإذا صحت الرئاسة لأحدهما عليه سعى في نجاته، وإقامته، وحمى داره، وأعلى مناره وحجبه عن الأسباب الرديّة في الدارين، على حسب ما يتخيل له أو يعلمه.

واعلم أن سبب نجاته من كل أمر مُهْلك هو طاعته لأمر داعٍ من خارج يقال له: الشرع، عرفه الروح إذ هو من جنسه وجهله الهوى، فالهوى يتخيل له أن النجاة في حيزه، والروح يعلم أن النجاة في حيزه، فنشأ الخلاف، ووقع الشتات والذي دعا إلى ذلك أن حقيقة الأمرين مختلفتان فلما جاء الداعي من خارج نظر إلى نتيجة ذلك الأمر فوجد له نتيجتين في الواحدة الهلاك، وفي الأخرى النجاة، فطلب كل واحد منهما سبيل النجاة، وتجنب المهلكات على حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية، وكل لو تُرِك والاعتذار لكانت لهم حجة ولكن حسمها

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الأنفال.

(٣) الآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة.

الحق ـ جلَّ اسمه ـ بحجته البالغة حيث قال: ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾[1]، **«وهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي»**[2]، **«وجف القلم»**[3].

فنقول: إن الروح حقيقته نور، والهوى حقيقته نار. وكل واحد منهما يتنعم بوجوده في وجوده إذ هي صفته النفسية وإلاّ لو تيقن من حقيقته نار أنه يعذب بها، وأن الفاعل قادر على ذلك لطلب الفرار إلى محل وجود النور لو تحقق فيه النجاة، لكن جهل ذلك، فكل دعا إلى مقامه بل النار تتعذَّب بالنور.

كما تضر رياح الورد بالجعل

فإذا كان يتعذب بالنور يتخيل أن هذا الملك الإنساني يتعذب أيضاً بالنور فهو أبداً يطلب أن يخرجه من النور، ويحجبه عنه بالأفعال التي تؤدّيه إلى الخروج عنه، وهي الشهوات التي حُفَّت النار بها، فمن وردها، فقد ورد النار ويطلب أيضاً الروح الذي هو نور مثل ذلك فكل واحد منهما ينظر في الأسباب الموصلة هذا الملك الإنساني إلى حزبه فيعرضها عليه ويحليه بها.

وقد صح عندهما أنه متى تحلّى أو اتصف بوصف ما كان ملكاً لصاحب ذلك الوصف، وكان المستولي عليه فوقعت الفتن والحروب، ولو ترك كل واحد منهما النظر من نفسه ونظر إلى هذا الداعي من خارج الذي هو الشارع وقال: وجدت داعياً من خارج ثبت صدقه مما قام فيه النجاة فهو كذلك، وما قال منه الهلاك فهو ذلك، لو وقع التسليم والانقياد وارتفعت الفتن وحصل الملك في حزب النجاة، لكن هذا لا يصح إذ كانت تزول حقيقة الهوى فإنه عين المخالفة، فلو انعدمت انعدم وذهب، لكن لله ـ تعالى ـ في هذا تدبير عجيب يحجب من شاء، ويكشف لمن شاء ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[4]، ﴿فلله الحجة البالغة﴾[5]، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك﴾[6] وهم أهل الجمع ﴿ولذلك خلقهم﴾[6] لتظهر أسماؤه في الوجود، ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[7] والحمد لله وحده.

---

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة الأنبياء.

(٢) حديث قدسي (**هؤلاء للجنة ولا أبالي...**). رواه عبد الرحمن بن قتادة السلمي وكان من أصحاب النبي(ص) في المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٢٦٩ حديث ٨٤. وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢٦٩ وفيض القدير ج٢ ص ٢٣٠.

(٣) حديث (**وجف القلم..**). رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ج٥ ص ١٩٥٣، ج٦ ص ٢٤٣٤ والقرطبي في تفسيره ج٦ ص ٣٩٨ وابن كثير في تفسيره ج٣ ص ٢٩٢ و٥٤٩.

(٤) الآية رقم (٢٠) من سورة الأنبياء.

(٥) الآية رقم (١٤٩) من سورة الأنعام.

(٦) الآيتان (١١٨، ١١٩) من سورة هود.

(٧) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

الباب الخامس:
في الاسم الذي يخص الإمام وحده وفي صفاته وأحواله

جرت الحكمة الإلهية في العالم أن يكون للخليفة عليه اسم يُخصُّ به وحده دون غيره لا سبيل أن يتسمى به أحد حتى إذا ذكر تميز وعُرِف، ولم يعط اللفظ على مجرى العادة أن يفهم منه غير الإمام، ولا عليه من بقية أسمائه ولو كانت ألفاً بوقوع الاشتراك تأسياً بمن استخلفه وهو الله ـ تعالى ـ فإنه سبحانه ـ اختص باسم الألوهية حتى إذا قال أحد (الله)، لم يفهم من هذا الإطلاق سوى الفاعل سبحانه ألا ترى لما أنزل ـ تعالى ـ قوله: ﴿اعبدوا الله﴾[1] لم يقولوا: وما الله، ولما قيل لهم: «اعبدوا الرحمن» قالوا: ﴿وما الرحمن﴾[2].

قلنا: إن ننظر أي اسم يختص به هذا الإمام نطلق عليه فلم نجد شيئاً إلاّ ما سماه به الله تعالى ـ في قوله: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾[3]، وقد منع سبحانه أن يوجد منه في زمان واحد اثنان فحسم ذلك بقوله: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[4].

فلا يصح إقامة ملك بين مدبرين وإن اتحدت إرادتهما قال الله ـ تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا﴾[5] لأنه قد يأمر أحد الخليفتين بغير ما ينهى عنه الآخر، ولا بد من امتثال أمر أحدهما، إذ لا يسوغ امتثال الأمرين فإن تركوا عوقبوا، وإن أطاعوا أحدهما عاقبهم الآخر إذ

---

(١) الآية رقم (٧٢) من سورة المائدة والآيات كثيرة جداً.

(٢) صحيح الآية هو قوله تعالى:

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمُرُنا وزادهم نفوراً﴾. وهي الآية رقم (٦٠) من سورة الفرقان.

(٣) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

(٤) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٥) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.

بنفس ما يطيعون الواحد عصوا الآخر، وعاقبهم من عصوه، فوجب على من أطاعوه نصرتهم فأدَّى ذلك إلى حروب وفتن تشغل عن تدبير الملك، فيخرب، فلهذا نصَّ على خليفة واحد.

اعتراض:

فإن قيل: قد سمعت الله ـ تعالى ـ يقول ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾[1] وقد قلت: إنه واحد شرعاً، فكيف الجمع؟

فتقول: إن سر الخلافة واحد، وهو متوارث، تتوارثه هذه الأشباح، فإذا ظهرت في شخص ما دام ذلك الشخص متصفاً به من المحال شرعاً أن توجد لذلك القبيل في ذلك الزمان بعينه في شخص آخر، وإن ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة، وهو دجّال ذلك الزمان، فإذا فُقد ذلك الشخص انتقل ذلك السر إلى شخص آخر فانتقل معه اسم الخليفة، فلهذا قيل: خلائف.

فانظر في هذا الفصل فقد نبهت فيه على أسرار لم أجزم على إيضاحها.

تنبيه:

فإذا تقرر هذا وثبت فينبغي لهذا الخليفة أن يتخلق بأسماء من استخلفه حتى يظهر ذلك في أخلاق رعيته وفي أفعالهم، وقد ذكرنا معنى التخلق بالأسماء الربانية في كتابنا المترجم (بكشف المعْنى عن سر أسماء الله الحسنى)[2].

يا أيها السيد الكريم، حافظ على شريعتك، واجعل ملكك خادماً لها، ولا تعكس فيعكس عليك، ولا تغفل عن النظر في كل حين في رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتولدة التي وهبها الله ـ تعالى ـ لك على طبقات العوالم الذين ذكرناهم في الإنسان، ثم يتدرج الأمر إلى وزيرك فيكون على هذه الحالة إلى كاتبك إلى كل وال في مملكتك، فعليك بكظم الغيظ وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، ورؤية إحسان المحسن والغض عن سيئاته، والتغافل عن الزلة والسقطة وذلك بأن تزل العين يوماً بنظرة في فضول واللسان في لفظة فضول فيكظم الغيظ بالاستغفار والإنابة فما وقع فيه، لكن غمض عينه، أو صمت من غير استغفار زماناً، وإما توقير الكبير فليس في الباطن للسن حظ، وإنما هو الكبير بالشرف والمرتبة والصغير على هذه النسبة.

---

(١) الآية رقم (٣٩) من سورة فاطر.والآية بها نقص في (ط) (في الأرض).

(٢) كتاب [كشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى] وله عنوانان آخران هما: (شرح الأسماء الحسنى) و(منافع الأسماء الحسنى).

ومخطوطاته كثيرة منها نسختان بدار الكتب المصرية انظر مؤلفات ابن عربي ـ عثمان يحيى ـ ٥٢٨/٧٤٠.

وأما رؤية إحسان المحسن، فإذا أحسن إليك عامل من عمالك مثل البين والسمع، فلك أن تجزل له العطاء على ذلك من مقابلة، وما يليق به.

تذكرة:

والذي أوصيك به أيها السيد الكريم أن لا تنفذ أمراً في ملكك حتى تنظر إلى عاقبة ذلك الأمر، فإن أعقب خيراً مضيت وإلاّ أمسكت فتأن في أمورك، أعني في الطاعات، إذ العلل كثيرة، فإن النفس قد تأمر بالطاعة لأمر ما تجب مخالفتها فيه، وهذا عند أرباب النفس، باب متسع فيه عبرة.

يا أيها السيد الكريم: والذي أوصيك به أن لا تتجلى لرعيتك إلاّ لمحة بارقٍ أو خيال طارق، فإنهم لا يعرفون قدر الخلافة لقصورهم، فربما بإدامة التجلي أساؤوا الأدب، بل لا يكون إلاّ كذلك قال الله ـ تعالى ـ ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾[1] فقد نبه على مقام القبض والتجلي هنا إنما هو إظهار التوحيد يوماً ما أو في نازلة ما، لا في كل الأيام، ولا في كل النوازل، لأن استدامة التجلي تؤدي إلى تعطيل الأحكام والديات وإذا كان ذلك كذلك خَرِبَ الملك عاجلاً وآجلاً فالله الله ولا لمحة بارق التوحيد.

سياسة:

يا أيها السيد الكريم؛ اصغ إلى سياسة مدنية من أخ شفيق عليك، رفيق بك، بل ينبغي لك عندما تريد أن تبرز لأهل مملكتك، وتظهر في عالمك المتصل والمنفصل من عالم الملكوت، والجبروت والشهادة فليقدم وزيرك العقل ـ رضي الله عنه ـ إلى جميع مملكتك يقوم فيه مقامك، وتعرفهم بتجليك لهم، ويوقر في نفوسهم من هيبتك وجلالك وعظم سطوتك ما لا تنفر به نفوسهم عنك، ويُقرر أيضاً في قلوبهم من حنانك، ولطفك، ورحمتك، وجودك، وجسيم منتك ما لا يؤديهم إلى الإدلال عليك فيلقونك في حدِّ الاعتدال لا قانطين ولا مدلِّين بل معتدلين، إن أرادوا الانبساط عليك قبضهم ما وقر في نفوسهم من جبروتك، وعظيم سطوتك، وإن أرادوا الانقباض بسطهم ما وقر في نفوسهم من حنانك ورأفتك فهم في شهودك بين الخوف، والرجاء في مقام الهيبة والأنس قد أَمِنُوا العقاب وخافوا الإجلال.

كأنما الطير منهُم فوق أرؤسهم ... لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهذا مقام لا يصح إلاّ في الطائفة الملكوتية والكروبية، وأما من دونهم فمشاهدة العقاب

---

(١) الآية رقم (٢٧) من سورة الشورى.

تمنعهم من الإدلال قال الله تعالى: ﴿يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار﴾[1]، وقال: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[2].

يا أيها السيد واجعل عقوبة من عصاك على قدر مرتبته منك وقرب منزلته، ألا ترى أبا يزيد البسطامي[3] ـ رضي الله عنه ـ كيف أقام سنة ما سقى نفسه شربة ماء عقوبة لها حين امتنعت عليه لأمر أراده منها لله تعالى.

تكملة حكمية:

أيها السيد الكريم نزّه نَفْسك عن الدنيا وأوضارها واجعلها خادمة لك ولرعيتك، وما الدنيا إلاّ جانب منصبك الذي أهّلك الله إليه المقدس عن تعلق الكونين به، فكيف عن الدنيا التي مقتها الله تعالى ـ وما نظر إليها من حين خلقها، ناهيك من تشبيه النبي (صلى الله عليه وسلم) إياها بالجيفة[4] والمزبلة[5]، مع إخباره أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما كان فيه من ذكر الله[6]، أفيحمل بهمة خليفة مثلك قد خلقه الله نوراً، جوهرة يتيمة، أن يلحظ بنظره[7] أو بطرف إلى جيفة أو مزبلة، أو يتكالب عليها، وقد قال ـ تعالى: (يا دنيا اخدمي من خدمني، واستخدمي من خدمك).

فالدنيا ـ وفقك الله ـ تطلبك حتى توفيك ما قدَّره لك من استخلفك من جاهك، ورزقك، وأرزاق رعيتك، فاجمل في الطلب، واسع في تخليص رعيتك وتخليص نفسك باشتغالك بما كلفك من استخلفك من الأوامر، والنواهي والحدود، فعليك بالإعراض عن الدنيا، تأتيك راغمة خادمة والذي يصل إليك منها وأنت مقبل عليها، هو الذي يصل إليك وأنت معرض عنها.

---

(١) الآية رقم (٣٧) من سورة النور .

(٢) الآية رقم (٥٠) من سورة النحل.

(٣) أبو يزيد البسطامي: تقدمت ترجمته سابقاً

(٤) حديث: **(الدنيا جيفة)**. انظر فيض القدير ج١ ص١١٢. حلية الأولياء ج٨ ص ٢٣٨ وكشف الخفاء ج١ ص ٤٩٢، ٤٩٣.

(٥) حديث: الدنيا مزبلة: انظر حلية الأولياء ج٥ ص ١٥٥ وج١٠ ص ٢٢.

(٦) حديث: **(الدنيا ملعونة ملعون ما فيها...)** انظر شعب الإيمان ج٧ ص ٣٤٢، وكشف الخفاء ج١ ص ٤٩٦.

(٧) في (ط): (يلحظ ببصره).

ذكر كعب الأحبار:

إن الله ـ تعالى ـ ذكر في التوراة (يا ابن آدم، إن رضيت بما قسمتُ لك، أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية، ثم وعزّتي وجلالي لا تنال منها إلاّ ما قدرت لك وأنت مذموم).

فعلق الراحة بالقلب مع البدن، إذ لا يصح طلب شيء من غير إرادة؛ إذ هي المحركة للباحث على البحث والتفتيش والإرادة من خاصتك المصرّفة لعامتك، فإن تصرفت في المضمون تصرفاً كلياً لم يتهيأ لامتثال أوامرك عليها وعند عدولها عن ذلك كنت لئيماً على رعيتك، على ما يريد في داخل الباب.

فالله الله اجهد أن لا تتعلق لك إرادة إلاّ بمراد محبوبك ومطلوبك من جهة ظاهر الأمر، وباطن الإرادة، بعد وقوع المراد المؤدي إلى العلم، بأن ذلك الواقع لولا ما سبق في العالم على ذلك، وتعلقت به الإرادة لما وقع على ذلك الوصف مع جواز تبدُّله في نفسه في وقوعه على غير ذلك، فإذا تقرر هذا فإني أضرب مثالاً لمن لم يفهم من عمّالك، وولاتك فيما تقدم من طلب الرزق الذي لا بد منه مثلك في طلب الدنيا والإعراض عنها، والقُوت منها والحق ـ سبحانه ـ ولله ـ المثل الأعلى ـ رجل صرف وجهه للشمس فرجع ظله خلفه فقصد نحو الشمس فاتبعه ظله ولم يلحقه ولا نال منه إلاّ ما حصل تحت قدميه، وفي الاستواء أعني استواء الشمس في قبة الفلك على رأس الرجل سر لا ينكشف ولا نُودعه كتاباً وهو موجود في قوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾[1].

[قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه ـ][2]:

ثم نرجع إلى المثال فنقول: ثم هذا الرجل إن أقبل بوجهه على ظله واستدبر الشمس وجرى ليلحق ظله، فلا هو يلحق الظل وقد فاته حظُّه من الشمس، وهم الذين قال الله ـ جلَّ اسمه ـ فيهم: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾[3] وما لحق من الظل إلاّ ما تحت قدميه وهو الحاصل له في استدباره الظل فأنت ذلك الرجل، والشمس وجود الحق، والظل الدنيا، وما حصل تحت قدميك القوت الذي لا بد منه.

يا أيها السيد الكريم وهل خلقت الدنيا إلاّ من أجلك وخلقك سبحانه ـ من أجله فأوجدك له، وأوجد الأشياء لك.

---

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة الفرقان.

(٢) سقط ما بين المعقوفتين من (ط).

(٣) الآية رقم (١٣) من سورة الحديد.

أنزل في التوراة: (يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك)[1].

وقال تعالى في القرآن العظيم: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ما أريد منهم من رزق﴾[2]. وقال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾[3] وقال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾[4] ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾[5] إلى أمثال هذا مما لا يحصى في القرآن.

تتميم:

يا أيها السيد الكريم تحبب إلى رعيتك واجزل العطايا لهم لكل صنف ما يصلح به وذلك بأن تمنعهم من المحارم وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات، وتذكر قول من استخلفك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾[6] ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[7] فهاتان الآيتان شملتا خاصتك وعامتك ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾[8] ﴿وامر بالمعروف وانهَ عن المنكر﴾[9] وتفقد النفس الأمارة، واللوامة، واجعل وزيرك يتلطفها[10] في كل حين، ويسوسها؛ فإنها مدبرة[11] مملكتك فإنها لا تلقي للحواس إلاّ ما تلقي إليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فتصلح عند ذلك مملكتك وتكثر جباياتك وتظفر بأعدائك، فاجعل أبداً همتك في إصلاح الأقرب فالأقرب يقل شغبك وتعبك وسلّط الصالح على الفاسد يصلحه، وإياك أن يكون ذلك بالخوف الشديد فيزيدهم نفوراً ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾[12] فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

---

(١) **«يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي..»** انظر فيض القدير ج٥ ص ٣٦٦.

(٢) الآية رقم (٥٦) من سورة الذاريات.

(٣) الآية رقم (٧٣) من سورة القصص.

(٤) الآية رقم (٧٩) من سورة غافر.

(٥) الآية رقم (٨) من سورة النحل.

(٦) الآية رقم (٢٤) من سورة النور.

(٧) الآية رقم (٣٦) من سورة الإسراء.

(٨) الآية رقم (٣٧) من سورة الإسراء.

(٩) الآية رقم (١٧) من سورة لقمان.

(١٠) في النسخة (ط): (يتلطف لها).

(١١) في النسخة (ط): (فإنها مدبرة بادية مملكتك).

(١٢) الآية رقم (١٥٩) من سورة آل عمران.

سياسة:

يا أيها السيد الكريم، ينبغي لك، بل هو آكد عليك أن لا تضع شيئاً في غير موضعه، ولا تبرز شيئاً إلاّ في وقته المعهود عندهم، وإياك وخرق العادة، وعند مسيس الحاجة إليه ليكون القبول عليه أشد، إذ العادة وفّرت الدواعي إلى ذلك الوقت لظهور ذلك الأمر المنتظر مثل لو خرق الله العادة بنزول المطر في غير وقته، واستدامة الصحو في غير وقته أدّى ذلك إلى القنوط والكفران فهم مع الإحسان يبغون[1] في الأرض، فكيف بالإساءة، وإن ظهر مثل هذا في سنة فلأمر ما وعدل منه ابحث عنه تجده، فتخلق بهذه الأوصاف تكن لك السلامة دنيا وآخرة.

[قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه ـ][2]: إذا هممت بأمر فقل: إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله﴾[3] ولا تتألَّ على الله، ﴿ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها﴾[4] ﴿ولا تتخذوا ايمانكم دخلاً بينكم﴾[5] واحذر القرناء السوء، فإنهم يأكلون درهمك ويقربون للنار لحمك، ودمك، فلا تصحب إلاّ خليلاً تجد معه الزيادة في دينك، فإن رأيت في صحبة النقص في ذلك فبئس القرين فيك وهو أكبر عدو لك فاحترز منه في مُلكك فإنه يكون سبب خرابه، وهذا القرين فيك هواك كما قال: جاهد هواك، فإنه أكبر أعدائك وقال تعالى: ﴿قالوا الذين يلونكم من الكفار﴾[6] وهذا أقرب الكفار إليك فاشتغِل به، وإلا اشتغَل بك، فإن السباع العادية تهدم بادية مملكتك، وتورثك النعيم الدائم وهذا يهدم دينك.

أيها السيد الكريم، أوصِ وزيرك وحاجبك أن لا يدخل عليك من الصفات التي هي جباياتك إلاّ صفة تتحقق فيها أنها نتيجة عن مقدمتين صحيحتين ضرورتين وفرع عن أصلين كريمين مستقيمين، فإن من الصفات ما ترد عليك به النفس مما يعطيها الهوى لتهلك فيها فتأتي إليك بها في أحسن صورة، وباطنها ضد ذلك حتى إن اخترت ذلك وجدت صحته فتحفظ فإذا جاءتك بصفقة ودخلت عليك فانظر سابقتها وعاقبتها بالأدلة الواضحة الشرعية والعقلية والعادية واسبُرها في محك النظر ومجاري الفكر وزنْها بمعيار العلم، وتفرَّس فيها ما تعطيك

---

(١) في النسخة (ط): (يبغون).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

(٣) الآية رقم (٢٣) من سورة الكهف.

(٤) الآية رقم (٩١) من سورة النحل.

(٥) الآية رقم (٩٤) من سورة النحل.

(٦) الآية رقم (١٩٣) من سورة التوبة.

الأدل المنصوبة للفراسة ، فإن كانت تعقب خيراً فتحلى بها وإن كانت خلاف ذلك فاقتلها فتلك الصفة هي التي نبهنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «**إياكم وخضراء الدِّمَنْ**»[1] فالشيء ضرورة إنما يعقب بحسب أصله وإليه يرجع.

تنبيه:

حافظ على ذاتك الشريفة الروحانية واعرف قدرها لأي شيء وجدت، وما المراد منها، وإن أمكنك أن لا تصرفها في قيام، وقعود وحركة وسكون وأشباه ذلك من جميع أفعالك إلاّ عن أمر إلٰهي علوي فتحقق. كما قال الخضر: ﴿وما فعلته عن أمري﴾[2] ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾[3] ﴿وما ينطق عن الهوى﴾[4] وإياك وإنفاد أمر في مملكتك حتى تشاور فيه وزيرك، فإن في مشاورتك إياه تثبيت مودتك في قلبه، والمودة تورث الشفقة، والشفقة تورث النصح، والنصح يورث العدْل، والعدل بقاء المملكة هذه ينبغي أن تكون صفات الإمام وأحواله وإلاّ يهلك وتهلك[5].

---

(١) الحديث: (**إياكم وخضراء الدِّمَن**).

رواه الدارقطني في **الأفراد**، والرامهرمزي، والعسكري في **الأمثال**، وابن عدي في **الكامل**، والقضاعي في **مسند الشهاب**، والخطيب في **إيضاح الملبس**، والديلمي من حديث الواقدي عن أبي سعيد مرفوعاً، لكن بزيادة: (قيل: وماذا يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء..) قال عدي: تفرد به الواقدي، وذكره أبو عبيد في **الغريب**.

انظر ما قاله العجلوني في كشف الخفاء حول هذا الحديث ٢٧٢/١ رقم (٨٥٥)، وانظر السيوطي: **جامع الأحاديث** ٣/ ٤١٦، حديث رقم (٩٤٨٤).

(٢) الآية رقم (٨٢) من سورة الكهف.

(٣) الآية رقم (٨٩) من سورة الصافات.

(٤) الآية رقم (٣) من سورة النجم.

(٥) في النسخة (ط): (وإلاّ هلك ويُهلك).

باب[1]:

لا يخلو الإمام أن يكون واحداً من الأربعة وبالجود أظهر الوجود ودام

قالت الحكماء: الملوك أربعة لا خامس لها: ملك سخيٌّ على نفسه سخيٌّ على رعيته، وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيته وملك سخيٌّ على نفسه لئيم على رعيته، وملك لئيم على نفسه سخيٌّ على رعيته، ولا يخلو ملك من أحد هذه الأوصاف.

كذلك هذا الخليفة لا يخلو من أحدها ولم يزل العارفون بالله ـ تعالى ـ على قديم الزمان يتبعون أنفسهم بالنظر والاعتبار لتصحيح النسختين، فتقول: ظهر لنا في الوجود الإنساني علم، وهو مقام الجمع، وعمل وهو مقام التفرقة، وهو حد الكرسي، والأول حد العرش فيرد الوتر إلى الكرسي الذي هو موضع القدمين فتكتسب الشفعية إلى الأرض، وهذا الملك هو الليلة المباركة التي يُغرق فيها كل أمر حكيم.

فيا أيها السيد الكريم: إن كنت صاحب علم وعمل فأنت سخيٌّ على نفسك سخيٌّ على رعيتك، وإن كنت لا صاحب علم ولا عمل، فأنت لئيم على نفسك ورعيتك وإن كنت صاحب علم لا صاحب عمل، فأنت سخي على نفسك لئيم على رعيتك، وإن كنت صاحب عمل لا صاحب علم فأنت لئيم على نفسك سخي على رعيتك.

وهنا سر مُنِعْنا عن كشفه تركناه لأهل الأذواق والتحقيق وانحصرت الأقسام، ولعل معترضاً يقول تسلم القسمين وهما قولك: صاحب عمل وعلم فإنه العالم العامل، ولا صاحب علم ولا عمل، وهو عكسه ولا يسلم القسمين الآخرين.

فنقول له: الأقسام صحيحة واضحة وذلك أن الأرواح نعيمها بالعلوم والمكاشفات، والأجسام نعيمها بالمحسوسات من المطعومات والمشمومات وعذابها بأضداد هذا فإذا سلمت

(١) في النسخة (ط): (فصل).

القسمين فيلزمك أن تسلم القسمين الآخرين وذلك أن الذي هو صاحب عمل لا صاحب علم، فإنه المقلد وهو صاحب عمل وليس لروحه علوم يلتذ بها إنما هي مسجونة مقيدة بالنظر إلى ما يؤول إليه محلها من نعيم الجنان ولا تقول: إن هذا صاحب علم، وأما القسم الآخر وهو صاحب علم لا صاحب عمل فهو العالم المرتكب الشهوات، والمسخر في المحرمات فإن روح هذا متنعم بما يكشف له من العلوم ورعيته معذبة بما ارتكب من المحارم المؤدية إلى دار البوار فتدبَّر هذه الأقسام ترى الحكمة البالغة، ثم لنا أن نبين ما نريده بالسخاء واللؤم في هذه المواضع، وفي حق هذا العالم المودع في هذا الكتاب، فنقول: إن السخاء بذل الشيء عند الحاجة إليه من غير زيادة ولا نقصان، واللؤم في هذا منع الشيء مع الحاجة إليه فمن جاوز فقد أفرط، ومن قصر فقد ورط وكلا طرفي قصر الأمور ذميم وفي ذلك أقول:

جرى مثل ذل السماع مع الحجى ... عليه على مر الزمان القديم

توسط إذا ما شئت أمراً فإنه ... كلا طرفي قصر الأمور ذميم

قف رحمك الله ـ عند هذا الحد، فظاهر الخليفة عمل وباطنه علم، وظاهره حَدٌّ، وباطنه مطلع، والرعيّة على قسمين: بادية، حاضرة.

فالبادية: عالم الشهادة المنفصل في حق المتبوع المحمدي.

والحاضرة على قسمين: خواص وعوام، فالعوام: عالم الشهادة المتصل، وهي البادية في حق غير المتبوع؛ والخواص على قسمين: عالم العقل وعالم النفس، فعالم النفس ينقسم قسمين: مطيع، وعاص، فالمطيع يسمى عالم الجبروت وعالم النفس على الجملة هو البرزخ عندهم، والمعاصي هم أعداء هذه المدينة الذين ذكرناهم.

وعالم العقل على قسمين: محجوب وغير محجوب، فأصحاب الأوصاف محجوبون، وهم عالم الملكوت أصحاب المقامات قال الله ـ تعالى ـ ﴿وما منا إلاّ له مقام معلوم﴾[1] وغير المحجوب هم أصحاب السلب عرائس الله المخبأون عنده في خزائن غيوبه، حجبهم غيرة عليهم حتى لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون إلاّ إياه، وهم في المقام الذي يعبر عنه المحققون بالفناء الثالث المحق الكلي، وهم خواص هذه المدينة. فانظر في هذه الأقسام ترشد إن شاء الله. يا أيها السيد الكريم، إذا تحققت هذا فابذل لكل عالم ما يحتاج إليه على حسب ما حددت آنفاً لك وكذلك لنفسك فتكون في المقام المحمدي صاحب علم وعمل، وهو الكمال والسخاء كل السخاء الزهد فيما في أيدي الناس فما أحبت رعية مليكها حتى زهد فيما عندها، والسخاء

(١) الآية رقم (١٦٤) من سورة الصافات.

يورث المحبة، والمحبة تورث القربة، والقربة تورث الوصلة، والوصلة تورث الجمع.

وهنا إشارة مضمونة تحت حجاب الغيرة فكذلك ينبغي لك أن تزهد في جميع أفعالك وأقوالك واعتقاداتك وتبني البيت، وتوقد السراج، وتضرب الستارة وتبرز الصور، تبدو لك الحكمة الإلهية، وتلوح لك الحقائق على ما هي عليه.

وموضع هذا من الكتاب العزيز: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1]. فكما أن الإنسان إذا ترك ما للناس عند الناس أحبه الناس، كذلك إذا تركت ما لله عند الله ولم تطمع فيه ولا أضفت شيئاً إلى نفسك من جميع أفعالك وكنت على الحقيقة زاهداً وعلى التوحيد راشداً، فاسع في اكتساب هذه الأوصاف تكن من أهل الإنصاف.

وقديماً خبرت الناس في أوطاننا، وأوطانهم، فلم أرَ لديهم أعظم قدراً ولا أكبر خطراً ولا أجلّ في نفوسهم من رجل طال صمته، وقلَّ كلامه، وإن تكلم بالحكمة فإن القلة منها أحسن من الكثرة، وأقبل لنفوسهم حذر السآمة، وهو حد السخاء المتقدم.

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «يتخلل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم».

وكذلك ينبغي للوارثين أن يكونوا كذلك، لم أر أعظم عندهم وأجل في نفوسهم، وأحب إليهم من رجل زهد فيما في أيديهم واحتجب عنهم، ولم يظهر لهم إلاّ عندما يعرف أن الحاجة قد مستهم للنظر إليه فحينئذٍ يظهر لهم على ما قدمت لك في أول الباب فكل شيء تعدده في ذلك المقام قبل تعطش النفوس إليه فإن أقبلوا عليك بشيء من دنياهم، فارغب عنها ورده على فقرائهم، فإن أبوا إلاّ بواسطتك فخذ منهم وادفعه لفقرائهم على علم منهم بذلك.

هكذا يكون حالة الإمام وبها يعظم عند أهل مملكته.

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة الصافات.

الباب السادس: في العدل

وهو قاضي هذه المدينة القائم بأحكامها أيّد الله السيد الهمام الأعدل الأكمل، ينبغي لك إن أردت بقاء مُلكك عليك، والظفر بأعدائك أن تكون متولي أحكام رعيتك، ومنفذ قضاياك العدل، فإنه أبقاه الله عليك ما ولّي مدينة قط ولا مملكة إلاّ ظهرت فيها البركة ونمت فيها الأرزاق، وعمت الخيرات جميعها وهو جود محمود محبوب على مر الدهور والأعصار وهو الميزان الموضوع في الأرض، وبه يكون الفصل في العرض الأكبر بين العباد وهو الحاكم في ذلك اليوم، وهو المأمور به شرعاً، وأن الملك جسد روحه العدل، ومتى لم يكن العدل حزب الملك. وكانت الحكماء تقول: عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان، وقد أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده فقال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[1] وذم من لم يتصف به ولا جعله حاكماً عليه فقال: ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾[2] وقال لقمان لابنه: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾[3] وقال تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾[4] وهو العدل.

وقال تعالى:

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾[5].

---

(١) الآية رقم (٩٠) من سورة النحل.

(٢) الآيات رقم (١ ـ ٥) من سورة المطففين.

(٣) الآية رقم (١٩) من سورة لقمان.

(٤) الآية رقم (١١٠) من سورة الإسراء.

(٥) الآية رقم (٢٩) من سورة الإسراء.

وقال (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر: «**ارفع من صوتك ولعمر: اخفض ــ رضي الله عنهما**»[1].

ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) وقد انقطعت إحدى نعليه فنزع الأخرى ومشى حافياً حتى يعدل في أقدامه. وعليه أنشأه الله وصوره.

ومن وصايا بعض الحكماء: لا تكن حلواً فتشترط ولا مُرّاً فتُعفى، فالعدل سار في جميع الأشياء، فاجعل العدل حاكماً على نفسك، وأهلك، ورجلك، وخولك وعبيدك، وأصحابك وجميع من توجه عليه حكمك وفي كلامك وفعلك ظاهراً وباطناً.

---

(١) حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر (ارفع صوتك، ولعمر أخفض). رواه الطبراني في تفسيره عن محمد بن سيرين انظر ج٥ ص ١٨٦ وانظر أيضاً صحيح ابن خزيمة ج٢ ص ١٨٩ وصحيح ابن حبان ج٣ ص ٧ وسنن أبي داود ج٢ ص ٣٧ وتحفة الأحوذي ج٢ ص ٤٣٣.

الباب السابع:
في ذكر الوزير وصفته وكيف يجب أن يكون

جرى التدبير الرباني الحكمي في العادة أن لا يستقيم أمر مليك في ملكه إلاّ بوزير يدبره يكون واسطة بين المالك والمملوك، فكذلك اقتضت الحكمة لما أبرزنا هذا الخليفة المذكور أن يجعل له وزيراً يسمى عَقلاً، وعليه يتوجه الخطاب من الله ـ تعالى ـ إذ هو مدبر المملكة قال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لأُولي الألباب﴾[١] و﴿لأولي النهي﴾[٢] ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[٣] أي: عقل ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ فأوجد الله ـ سبحانه ـ لهذا الإمام هذا الوزير الذي يقال له: العقل، وإنما سُمِّي عقلاً لأنه يعقل عن الله تعالى ـ كلما يلقى إليه وهو على المملكة كالعقال على الدابة ويحفظها حذر الخراب، ولهذا سماه عقلاً، واصطفاه له وزيراً (فعيلاً) يحتمل أن يكون من الوزير والوَزَر وكلاهما موجود فيه، فإن كان من الوِزر الذي هو الثقل فإنه حامل أثقال المملكة، وأعبائها، وإن كان من الوَزَر الذي هو الملجأ فإنه يلجأ إليه في جميع الأشياء إذ هو لسان الخليفة، والمنفّذ عنه أوامره.

فلهذا المعنى صح عليه اسم الوزارة لما لم يكن أيضاً بد من وجود معنى هذا اللفظ، وهو موجود عجيب ومخترع لطيف أوجده البارىء في ثاني مقام من الإمام وأنزله من الخليفة منزلة القمر من الشمس على مذهب من يقول بالاستمداد، ولهذا تراه عند حضور الملك وتجليه ليست له تلك الصولة ولا يبصر لأن الأمر هناك صادر عن الإمام بارتفاع الوسائط وهيبة المشاهدة عظيمة وحظها من كتاب الله قوله ـ تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[٥]،

---

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الزمر. وفي (ط)، (خ): (إن في ذلك الآيات).

(٢) وهو نص الآية ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهي﴾ آية رقم (٥٤) من سورة طه. ورقم (١٢٨).

(٣) الآية رقم (٢٧) من سورة ق.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (خ) وهو استكمال الآية السابقة.

(٥) الآية رقم (١٦) من سورة غافر.

وفي وقت الحجاب وقعت الدعوى، نعوذ بالله من حجاب الدعوى، فمتى احتجب الخليفة كان للوزير الظهور وإنفاذ الأوامر، والإعطاء والمنع إذ هو لسان الخليفة والمترجم عنه، وهذا موجود في سر روحانية القمر والشمس.

ألا ترى القمر إذا حصل في قبضة الشمس ليس له نور ولا ظهور لاستيلاء الشمس عليه، فإذا كانت الليالي البيض كان له الظهور التام بمغيب الشمس عن مرأى أعين الناظرين، فالقمر في ذلك الوقت يشاهد الشمس، والعالم والناس لا يشاهدون إلاّ القمر، وهذا سر عجيب، وهذا باب عظيم للحقائق فيه مجال وانفساح، ولأرباب القلوب فيه اعتبار بين اندماج واتضاح، لأن الحكمة غريبة في إبداره على قدر سراره ثلاث بثلاث، وقد ذكرنا هذا السر في غير هذا الموضع مستوفىً في كتاب [المثلثات][1] لنا وحظّه من الكتاب العزيز: ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس﴾[2].

وكان شيخنا أبو مدين[3] ـ رضي الله عنه ـ ما حصل له من سر الوجود عن التجلي المحمدي إلاّ مقام ملك الناس ولهذا كان يصرح بأن سورته من القرآن ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾[4] ومقام إله الناس انفرد به القطب. ولذلك كان أبو مدين أحد الإمامين الموجودين في العالم ثم نرجع ونقول:

فلما أبدع بنيته وسوى جوهريته أودع فيه حسن التدبير والسياسة، وجميع الأمور اللائقة بالمملكة من مقامه إلى أدنى موجود من رعيته أو على هذا المهيع وردت الشرائع، ثم نقش سبحانه وتعالى ـ جميع العلوم في جوهرة ذاته، فصار محلاً للعلوم مع أنه لا يدري أين تصرفها ولا الحالات التي يصرفها فيها، وذلك حكمة منه ـ تعالى ـ ليكون مضطراً إلى الخليفة، كما فعل بالخليفة فيما تقدم عارفاً بنفسه وقدره، وعارفاً بمخدومه الذي أوجده من أجله، ثم أقعد ـ سبحانه ـ الخليفة على عرش الوحدانية وردّاه برداء الفرْدانية، وحلاّه بالصفات الإلهية فاكتسى من الإجلال والهيبة، والعظمة، ما لو ظهر لعالم الشهرة منها مقدار سم الخياط لبهرهم،

---

(١) كتاب [المثلثات].

يقول عنه د. عثمان يحيى في كتابه مؤلفات ابن عربي: هو كتاب تفسير يوضح فيه الآيات القرآنية ذوات التقسيم الثلاثي مثل قوله تعالى: ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ (البقرة: ٦٨).

وقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ (الإسراء: ١١٠).

انظر مؤلفات ابن عربي رقم ٥٤٢/٧٨٤.

(٢) الآيتان (١، ٢) من سورة الناس.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (١) من سورة الملك.

ولصُعقوا من حينهم وسُلبوا عن نفوسهم، وهذا مقام الخليفة، فكيف بنا بمشاهدة الحق ـ سبحانه ـ في دار الكرامة، فانظر وفقك الله، ما أعظم هذه القدرة العجيبة التي يؤيدنا الله بها في إدراكنا عند النظر إليه جلَّ جلاله في الدار الآخرة!

فلما قام الخليفة في هذا المقام أدخل عليه العقل فلما أدخل عليه تجلت له صورة العقل في جوهريته في ذات الخليفة فلاحت له الأسرار والعلوم المنقوشة فيه والناس يغلطون في هذا المقام فيطلبون من خارج ما هم فيه فيتعبون ولو وقفوا عند قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1] لاستراحوا.

قَـدْ يَـرْحَـلُ الـمَـرْءُ لمطـلـوبـه   والـسَّـبَـبُ الـمَـطْـلـوبُ فـي الـرَّاحِـلِ

فإذا أراد العقل معرفة شيء في تدبير الملك وإصلاحه افتقر عند ذلك إلى مشاهدة الإمام، فعند المشاهدة يلوح له المراد فيه فيقوم له التجلي منزلة الخطاب من الملك إلى الوزير إذ المراد حُصول العلم وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات فإنهم ليسوا بأجسام يكون فيها أصوات وحروف فإذا لم تكن أصوات وحروف ورقوم إلى غير ذلك من الدلائل فلك أن تنظر إلى ما يؤدي إليه تلك الأدلة من الأصوات وغيرها في قلب السامع فهو حصول المعنى وهو أثر الكلام من المخاطب، وكذلك إذا حصل للعقل آثار العلوم في قلبه من فيض الروح الكلي عبرنا عنه بالكلام والقول والخطاب فلما أوجده على هذه الصفة جعل مسكنه الدماغ، ليشرف على أقطار المملكة، وأن يكون قريباً من خزانة الخيال التي هي مستقر جبايات البادية، وقريباً من خزانة الفكر والحفظ حتى يقرب عليه النظر في جميع مهماته. فينبغي لك أيها الخليفة الأكرم أن تحافظ على وزيرك وتسايسه، وتتحبب إليه، فإن في بقائه صلاح ملكك، ومدينتك، ألا ترى إذا اتفق في العقل شيء وهلك بفساد محله كيف تخرب مدينة الجسم ولا يقدر الروح على تلفيقها فحافظ على الوزير حفظك على نفسك فهو يدك التي بها تبطش، وعينك التي بها تبصر، فمتى هممت بإمضاء أمر في ملكك فقرب العقل وتدبَّر معه وشاوره، وانظر إلى ما يصدر عنه فيه، واعمل بما يشير به عليك فإن الله ـ تعالى ـ قد أودع الصواب في رأيه، وتحفظ من الوهم، فإن الوهم موجود يبرز للنفس على صورة العقل فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع له في الإنسان تأثير عظيم. وهو المستولي على الناس، والباعث على الأفكار المردية وهو يورث الوسوسة فتحفظ منه، وميّز وزيرك عيناً واسماً ولا تستبد بنفسك فلا خير في أمر ولا ملك لا يديره عقل، ولما كان الوزير قد يشتبه به من أكثر وجوهه وصفاته لا من كلها اضطررنا إلى نعته بالنعوت الكاملة التي لا يمكن للوهم أن يشتبه بها على الكمال، فانظر إلى النعوت التي أنا

---

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الذاريات.

أذكرها ـ إن شاء الله ـ فإذا رأيتها قد قامت بموجود مّا فذلك وزيرك وهو المراد فاحفظها وحصلها تغتبط ـ إن شاء الله ـ تعالى وتقدس.

تفصيل خلق الوزير وصفاته

فاعلم ـ رحمك الله ـ أن العدل شخْصهُ والحكمة رأسه والجمال وجهه، والحِفْظ حاجباه، والحياء عيناه والطلاقة جبينه، والعزة أنفه، والصدق فمه والحكمة لسانه، والنيّة عنقه، والسعة واحتمال الأذى صدره، والشجاعة عضده، والتوكل مرفقه والعصمة معصمه، والكرم كفه، والإيثار بنانه والجود يده، واليمن يمينه، واليسر يساره، والورع بطنه، والعفة فَرْجُه، والاستقامة ساقه، والرجاء والخوف قدماه، والفطنة قلبه والعلم روحه، والأمانة حياته، والزهد لباسه والتواضع تاجه، والخشية إكليله، والحلم خاتمه والأنس بيته، والهدى طريقه، والشريعة مصباحه والفهم دثاره، والنصح شعاره، والفراسة علمه، والفقر كسبه، والعقل اسمه، والحق سمعه، فإذا رأيت هذه الأوصاف فاتخذه وزيراً ولليلك سميراً.

قال الإمام المؤلف ـ رضي الله عنه:

ولما كانت الفراسة علم هذا الوزير المذكور ومحل كشفه واطلاعه على مكمنات الخواطر ومغيبات الأمور احتجنا أن نسوق طرفاً مختصراً عقيب هذا الباب حكمية وشرعية إن شاء الله تعالى.

الباب الثامن:
في الفراسة الشرعية والحكمية

قال الله ـ عزَّ وجلّ: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[1] وقال (صلى الله عليه وسلم): «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[2].

فالفراسة أكرمك الله نور من أنوار الله ـ عزَّ وجلّ ـ يهدي له عباده ولها دلائل في ظاهر الخلق، جرت الحكمة الإلهية بارتباط مدلولاتها بها، وقد تشذ، ولكن ذلك نادراً في الفراسة الحكمية، إذ هي موقوفة على أدلة عادية ضعيفة وأما الرعية فلا تشذ لأنها عن أمر إلهي كما قال: ﴿وما فعلته من أمري﴾[3] فهي مستمرة عند أهلها لأن دلائلها في نفس من قامت به خلاف الحكمية، فإذا أدلتها في نفس المتفرس فيه، فرأينا أن نسوق في هذا الباب الفراستين معاً على أحصر ما يمكن وأتمه.

الفراسة الحكمية

أعزك الله من المعارف الفكرية، والعلوم النظرية، والأحكام التجريبية، وإنما مست الحاجة إليها في هذا الكتاب إذْ ليس كل أحد يهبه الله ـ تعالى ـ نور اليقين ويزيل حجاب

(١) الآية رقم (٧٥) من سورة الحجر.

(٢) حديث: (اتقوا فراسة المؤمن...).

رواه الترمذي والبخاري عن أبي سعيد الحكيم وسمويه ورواه الطبراني، وابن عدي عن أبي أمامة ورواه ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهم. انظر السيوطي في **جامع الأحاديث** ٧٩/١، حديث رقم (٣٢١).

وانظر شرح الحديث الطويل والتعليقات الهامة التي أوردها، وطرقه العجلوني في كتابه **كشف الخفاء** ٤١/١، الحديث رقم (٨٠).

(٣) الآية رقم (٨٢) من سورة الكهف.

الريون[1] من عين بصيرته فينتظم في سلك أهل الفراسة الشرعية، فلما لم يتمكن هذا لكل أحد لكونها موهوبة من الله فلا يفوز بها إلاّ الخواص من عباده وكتابنا هذا موضوع للخاص والعام فيما يحتاج إليه، وهذا الباب من أكثر ما يحتاج إليه ويعول عليه لكن الإنسان مضطراً إلى معاشرة الناس ومخالطتهم[2] كل إنسان في صنفه وفي عالمه وإذا كان هذا الاضطرار وليس عنده من الفراسة الشرعية مما يميز بين إخوانه، سقنا فصلاً كافياً من الفراسة الحكمية، ليقف الإنسان عنده ويصرفه في مهماته ويشتغل بضروب الطاعات عسى الله أن يفتح له باباً من عنده إلى نور اليقين، وملاحظة الملكوت الأعلى.

فاعلم: يا أخي وفقنا وإيّاك أن أحسن الهيئات وأعدل النشآت الذي ينبغي لك أن تتخذه سجيراً[3] ولَلَيْلِك سميراً[4] ولملكك وزيراً من ليس بالطويل ولا بالقصير، لين اللحم رطبه، بين الغلظ والرقة، أبيض مشرب بحمرة وصفرة معتدل الشعر طويله ليس بالسبط ولا الجعد القطط، في شعره حمرة ليس بذاك السواد أسيل الوجه، أعين مائلة إلى الغور، والسواد، معتدل عظم الرأس، سائل الأكتاف في عنقه استواء، معتدل اللبة ليس في وركه ولا صلبه لحم خفي الصوت صاف ما غلظ منه وما رق مما يستحب غلظه، أو رقته في اعتدال طويل البنان للرقة، سبط الكف، قليل الكلام والضحك إلاّ عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء في نظره فرح وسرور، قليل الطمع في المال، ليس يريد التحكم عليك ولا الرياسة ليس بعجلان ولا بطيء، فهذا قالت الحكماء: أعدل الخلقة وأحكمها وفيها خلق سيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى صح له الكمال ظاهراً وباطناً، فإن قدرت أن لا تصحب إلاّ مثل هذا فافعل، ولا تقف مع شهوتك إذا لم ينور الله بصيرتك فإن رزقت النور الإلهي، فأنت إذ ذاك سلطان العالمين الحقيقتين الوجود تحت قهرك، ورياستك وأمرك.

واعلم يا أخي أن الحكماء زعموا في مقالاتهم في الفراسة ورأيت ذلك تجربة أن أعدل الخلق ما تقدم وصفه، ومما ذكروا في مقاماتهم أن البياض الصادق مع الزرْقة والشقرة الكثيرة دليل

---

(١) الريون: جمع (ران) وهو سواد يتكثف على صفحة القلب فيحجب شفافية الرؤية. وانظر ذلك في نص الآية في قوله تعالى: ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلاّ إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾.
الآيتان (١٤، ١٥) من سورة المطففين.

(٢) في النسخة (ط): (مخاللتهم) وهي بعيدة ففيه اضطراد.

(٣) (سجيراً) أي: خليلاً وصفياً.
فقد ذكر في اللسان أن السَّجير للرجل هو خليله وصفيُّه. والجمعُ: سُجَرَاء.
وساجَرَه: صاحبه، وصافاه.

(٤) والسمير في الليل معروف من المسامرة.

وطول العنق ورقّته دليل على الحمق والجبن والصياح، فإن انضاف إليهما الرأس فإنه يدل على الحمق والسخف.

غلظ العنق: يدل على الجهل وكثرة الأكل.

اعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق.

البطن:

الكبير يدل على الحمق، والجهل والجبن.

لطافة البطن: وضيق الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأي.

عرض الكتفين والظهر:

يدلان على الشجاعة وخفة العقل انحناء الظهر دليل على الشكاسة والنزاقة.

استواء الظهر علامة محمودة.

بروز الكتفين: دليل على سوء النية، وقبح المذْهب.

إذا طالت الذراعان: حتى تبلغ الكف الركبة دلّ على شجاعة وكرم، ونُبل نفس، وإذا قصرت فصاحبها جبان محب في الشر.

الكف:

الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعة وإحكام الأعمال وتدبير الرياسة.

القَدَم:

اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل وحب الجور القدم الصغير اللين يدل على الفجور.

رقة العقب: يدل على الحسن، وغلظه يدل على الشجاعة.

الساق:

غلظ الساقين مع العرقوبين دليل على البله والقِحَّة. من كانت خُطاه واسعة بطيئة فهو مُنجح من جميع أعماله ومفكر في عواقبه، والضد للضد. فهذا وفقك الله فصل مختصر من الفراسة الحكمية على ما وصفته الحكماء فتحققه وترشد في معارف الناس. إن شاء الله قال الإمام المؤلف رضي الله عنه:

ولنعمد في هذا الفصل الذي ذكرته الحكماء إلى النشأة المعتدلة[1] المذكورة في أول هذا

(١) في النسخة (خ): (الروحانية المعتدلة).

الباب، ولنمش عليها النشأة الروحانية حرفاً حرفاً.

فأقول: اعلم أن الروح الإنساني لما كان له وجه إلى النور المحض ووجه إلى الظلمة المحضة، وهي الطبيعة كانت ذاته متوسطة بين النور والظلمة، وسبب ذلك أنه خلق مدبراً لنشأة طبيعية عنصرية كالنفس الكلية التي بين الهباء والعقل فالهباء ظلمة محضة، والعقل نور محض والنفس بينهما كالسُّدَفَة، فمتى ما لم يغلب على اللطيفة الإنسانية أحد الوصفين كانت معتدلاً يؤتي كل ذي حق حقه، ومتى ما غلب عليه النور المحض أو الظلمة المحض كان لما غلب عليه كما ذكر في النشأة الجسمية من الطول المفرط، أو القصر المفرِط، والبياض المفْرَط، والسواد المفرط، وكل ضدين على التفاوت في أحد الطرفين.

فأقول: أما البياض المفرط فاستفراغه للنظر في عالم النور بحيث لا يبقى فيه ما يدبر به عالم طبيعته فيفسد سريعاً قبل حصول الكمال فكان مذموماً، وكذلك في الجانب الآخر وهو السواد المفرط بحيث يمنعه النظر في طبيعته عن عالم النور، فذلك أيضاً مذموم، فإذا كان وقتاً ووقتاً كما قال عليه السلام: «**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[1]، وكان له وقت مع أصحابه ووقت مع أهله، وكذلك الطول والقصر مدة إقامته في النظر في أحد الجانبين فينبغي أن تكون المدة بقدر الحاجة.

وأما اعتدال اللحم في الرطوبة بين الغلظ والرقة هو اعتداله في البرزخيات بين المعنى والحس كاللحم بين الجلد والعظم.

وأما اعتدال الشعر، فكونه بين القبض والبسط، وأمَّا كونه أسيل الوجه فهي الطلاقة والبشاشة.

وأمَّا كونه أعين فصحة النظر في الأمور، وأما كون عينه مائلة إلى الغور والسواد فاستخراج الأمور الخفية والعلوم الغيبية، وأما كونه معتدل عظم الرأس فتوفير العقل، وأما كونه مائل الأكتاف، فاحتمال الأذى من غير أثر، وأما كونه مستوي العُنُق، فاستشرافه على الأشياء من غير ميل إليها، وأمّا كونه معتدل اللبة الذي هو مجرى النفس لاستقامة الأصوات، فاستقامة الكلام في الخطاب بما يليق بالمخاطب وأما كونه ليس في وركه ولا صلبه لحم فنظر إلى الأمور التي يلجأ إليها، ويتورك عليها أن يكون تخلّصه لأحد الطرفين فإنه إن كانت برزخية قد تغدر به في غالب الأمر، وأما كونه خفيُّ الصوت فهو حفظ السر وأما صفاء الصوت، فهو أن لا يزيد

(١) حديث: (**لي وقت لا يسعني فيه غير ربي**) رواه إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي في كشف الخفاء ج٢ ص ٢٢٦ حديث ٢١٥٩ ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث: كان (ص) إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء... وزاد فيها ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطي إنه على رسم الصحيح.

فيه شيئاً.

وأما طول البنان فلطافة التناول، وأما بسط الكف فرمي الدنيا من غير تعلق، وأما قلة الكلام والضحك فنظرةُ إلى مواضع الحكمة، فيتكلم ويضحك بحسب الحاجة، وأما كونه ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فهو أن يغلب عليه الجنوح إلى العالم العلوي، وأما كونه في نظره فرح وسرور فهو استجلاب نفوس الغير عليه بالمحبة، وأما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن الغاية.

وأما كونه ليس يريد التحكم عليك ولا الرياسة فهو شغله بكمال نفسه لا بك.

وأما كونه ليس بعجلان، ولا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة ولا عاجز.

فهذا قد ذكرنا اعتدال النشأة اللطيفة الإنسانية، حرفاً بحرف على النشأة المعتدلة الطينية التي ذكرناها عن الحكماء القائم نأخذ بتفصيل الأعضاء على هذا المثال بقدر ما يوفّق للنظر السديد في ذلك ولم نودعه هنا لئلا يطول الكتاب فلنرجع إلى الفراسة الشرعية فأقول:

الفراسة الشرعية

اعلم ـ رحمك الله ـ ونوّر بصيرتك، أن عالم الملكوت هو المحرك لعالم الشهادة وهو تحت قهره وتسخيره حكمة من الله ـ تعالى ـ لا لنفسه استحق ذلك، فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة، ولا سكون، ولا أكل ولا شرب، ولا كلام، ولا صمت إلاّ عن عالم الغيب، وذلك أن الحيوان لا يتحرك إلاّ عن قصد وإرادة وهما من عمل القلب، وهو من عالم الغيب. والحركة، وما شاكلها من عالم الشهادة. وعالم الشهادة عندنا كل ما أدركناه بالحس عادة، وعالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي والنظر الفكري فيما لا يظهر للحس عادة. فنقول: إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما أن عالم الشهادة يدرك بعين البصر، وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع، فإذا ارتفعت الموانع، وانبسطت الأنوار على المحسوسات أدرك البصر المبصرات فإدراكها مقرون بنور البصر، ونور الشمس والسراج وأشباهها من الأنوار كذلك عين البصيرة حجابه الريون[1] والشهوات ملاحظات الأغيار إلى مثل هذه من الحجب، فيحول بينه وبين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب، فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات، والمجاهدات حتى زال عنها كل حجاب، واجتمع نورها مع النور الذي ينبسط على عالم الغيب، وهو النور الذي يتراءى به أهل الملكوت وهو بمنزلة الشمس في المحسوس، اجتمع عند ذلك نور عين البصيرة مع نور التمييز فكشف

(١) الريون، جمع: ران، وتقدم شرح معناها.

المغيبات على ما هي عليه غير أن بينهما لطيفة معنى، وذلك أن الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط، والأجسام الكثيفة الحائلة بينه وبين من يريد إدراكه وهذا لقصور عادة، وقد تنخرق لنبيّ أو وليّ كقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «**إني أراكم من وراء ظهري**»[1].

ومن الأولياء ابتداء المكاشفات لهم في أول سلوكهم فإن المريد أول ما يكشف له عن المحسوسات فيرى رجلاً مقبلاً أو على حالة ما وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة بحيث أن يراه بمكة أو يرى الكعبة وهو بأقصى المغرب، وهذا كثير عند المريرين في أول أحوالهم ذقت ذلك ولله الحمد. ثم ينتقلون عن ذلك إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوراثة النبوية وإن بقي عليهم ذلك أعْني خرق العادة على الدوام فهم المعبر عنهم بالبدلاء وإن تخللهم ذلك في وقت دون وقت فهو إما وارث، وإما عابد صاحب فترات، وأما عالم البصيرة فلا. إذ عالم الغيب ليس بينه وبين عين البصيرة مسافة ولا بُعد ولا قرب مفرط وحجابه إنما هو الران والقفل والكن وقد ارتفعت المجاهدات فلاحت أعلام الغيوب. لكن ثم أمر تذكره وهو إن تجلّت عين البصيرة كما ذكرناه، فإن ثم حجاباً آخر إلٰهياً وهو أن النور الذي ينبسط من حضرة الجود على المغيبات في الحضرات الوجودية ليس يعمها إلاّ على قدر ما يريد الله ـ تعالى ـ أن يكشف لك منها مع أنك في غاية الصفاء والجلاء وذلك هو مقام الوحي، دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له ولغيرنا قوله تعالى: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أن اتبع إلاّ ما يوحى إليَّ﴾[2]. غاية الصفاء النبوي فكيف بالوليّ الذي ما فتح له من الطريق خُرْتُ[3] إبرة فهذا هو الحجاب الإلهي وهو في الكتاب العزيز: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب﴾[4].

فقوله: ﴿أن أتبع إلاّ ما يوحى إليَّ﴾[5] هو قدر ما يكشف له من عالم الغيب فيرى تأثيره في عالم الشهادة فيتكلم به على ذلك الحد فنقول: يكون كذا ولا يكون كذا وعاقبة أمر ما إلى كذا على قدر الكشف، وهذا الحجاب الإلهي لا يمكن رفعه عقلاً ولو بلغ المرء أعلى الغايات

(١) حديث: (**إني أراكم من وراء ظهري**). رواه عمرو خالد عن زهير عن حميد عن أنس عن النبي(ص) انظر الجامع الصحيح المختصر ج١ ص٣٥٤. مسند أبي يعلى ج٦ ص ٣٨٢.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الأحقاف.

(٣) (الخُرْتُ)، و(الخَرْتُ): الثُقْبُ في الأذن، والإبرة، والفأس، وغيرها. انظر: **اللسان**. مادة (خَرَتَ).

(٤) الآية رقم (٥١) من سورة الشورى.

(٥) الآية رقم (٩) من سورة الأحقاف. استكمال جزء الآية قبل السابقة.

بدليل أن الحجاب إنما هو العلم الأزلي المتعلق بمعلومات غير متناهية، وكلما حضره الوجود فهو متناهٍ ولا تكشف عين البصيرة إلاّ ما دخل في الوجود بوجه ما من أوجه مراتب الوجود فلا حجة لك في قوله ـ تعالى ـ ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[1]، قال تعالى: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾[2] وقال: ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾[3] وذلك لعدم التناهي، فإذا تقدر هذا وصحَّ لنا حد الكشف عن عالم الغيب فمهما ظهر ممن حصل في هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما، فتلك الفراسة وهي أعلى درجات المكاشفة، وحظُّها من الكتاب المبين ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[4] وذلك لها علامات في الحس بينها وبين عالم الغيب ارتباط، وهذا عالم موقوف على الذوق خلاف الفراسة الحكمية فإنها موقوفة على التجربة والعادة، وقد لا تصدق وهذا لا سبيل عند أهل الشأن إلى تكذيبه فإنه نور الله ـ تعالى ـ فلا يعطي إلاّ الحقائق، هكذا تكون الفراسة الشرعية وسبب حصولها ما ذكرناه وقد جعل الله لعالم علمها علامات في ظاهر الموجودات كما جاء عن عثمان[5] ـ رضي الله عنه ـ حين أخذ على الرجل في نظره إلى ما يحل له فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[6]. رأيت ذلك في عينيك وهذه العلامات إنما هي حجب نصبها الله ـ تعالى ـ لأعين الغير لتأنيس القلوب الضعيفة واستمالتها حتى تطمئن ولو قال غير النبي إنما رأيت ذلك لما انبسطت نور اليقين على الكتاب الحفيظ فنظرت فعلك فيه فقضيت عليك محبة الأذان لقُبضت عنه النفوس مع صدقه في ذلك، فلما علقت بعلامات ظاهرة سكن القلب والخاطر الضعيف إلى ذلك مع قوة دليل الشرع في قوله: «**اتقوا فراسة المؤمن**». فاجتمع من ذلك بعض إيمان ومع ذلك قد يُتهم ويقال لعله كاهن أو صاحب رأي فالعلل كثيرة.

تنبيه:

بقي لنا من الباب شيء في الغرض الذي قصدنا وهو تصحيح النسختين بالمقابلة في

---

(١) الآية رقم (١٢) من سورة يس.

(٢) الآية رقم (٢٧) من سورة لقمان.

(٣) الآية رقم (١٠٩) من سورة الكهف.

(٤) الآية رقم (٨٥) من سورة الحجر.

(٥) (عثمان بن عفان) رضي الله عنه ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبدالله وأبو عمر، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح. وزوّجه النبي (ص) ابنته رقية وماتت عنده في أيام بدر، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم فلذلك كان يلقب ذا النورين. انظر الإصابة ج٢ ص ٥٦١.

(٦) تقدم تخريج هذا الحديث أول الباب.

الفراستين الشرعية والحكمية، وذلك أن للقائل أن يقول إذ ولا بد عندكم من المقابلة فأين حَظُّ الأشقَر والأزرق، والعظيم الأنف والمعتدل الكحولة من هذه الفراسة الشرعية؟

فنقول: سألت سؤال عارف ونحن ـ إن شاء الله ـ نلخصه لك تلخصة بأيسر شيء، وإنّا نظرنا إلى الفراسة الحكمية، فرأينا أربابها والقائلين بها والقاطعين بحكمها راجعين إلى طرفين وواسطة، وقسموا الأشياء إلى محمود ومذموم، فجعلوا الخير كله والمحمود في الوسط، وجعلوا الذم والشر في الطرفين فقالوا في الأبيض الشديد والأشقر الأزرق ما سمعت من الذم وأنه غير محمود، وكذلك الأكحل الشديد السواد، والرقيق الأنف جداً مذموم كل هذا، والمعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين ميلاً كلياً هو المحمود على حسب ما تقدم في الفراسة الحكمية، فلما رأيناهم قد حصروا هذه الأشياء وقصروها على هذا القدر نظرنا ذلك في هذا العالم أين ظهر الحسن والقبيح، فقلنا: لا حسن ولا قبح إلاّ شرعاً على هذا قام لنا الدليل، فلما رأينا أن الحمد والذم على الفعل من جهة ما شرعاً نظرنا كيف نجمع طرفين وواسطة نجعل الطرفين مذموماً ونجعل الواسطة محموداً الذي هو محل الاعتدال.

فنقول: الإنسان لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر إلى الشرع، وهو إما أن يكون باطنياً محضاً وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً، وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها، وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة من قواعد الدين فهو مذموم بإطلاق ـ عصمنا الله وإياكم من ذلك.

وإما أن يكون ظاهراً محضاً متغلغلاً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم، والتشبيه فهذا مثل ذلك ملحق بالذم شرعاً وإما أن يكون جارياً مع الشريعة على فهم اللسان حيث ما مشى الشارع مشى، وحيث ما وقف وقف وهذا هو الوسط وبهذا يصح محبة الله له قال تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[1].

فباتباع الشارع صحة محبة الله وغفران الذنوب وحصلت السعادة الدائمة، فهذا ـ أعزك الله ـ وجه مقابلة النسختين.

فإن قال قائل: سلمنا هذا التقابل وهو صحيح فكيف نميزه من الإنسان على التعيين.

وإذا رأيت رجلاً ساكتاً يشهد الصلوات والجماعات وهو مع ذلك منافق؟ قلنا: قد تقدم مكان هذا في الباب ولكن لا بد أن نجيبك على ما سألت، وذلك أن السكون وشهود الصلوات وأشباههما من عالم الشهادة وكونه كافراً بها في سره فهو من عالم الغيب ونحن إذا تحصل لنا

---

(١) الآية رقم (٣١) من سورة آل عمران.

الفراسة الشرعية حكمنا بكونه كافراً في نفوسنا، واتقينا ماله ودمه معصوماً شرعاً لظهور الكلمة التوحيدية[1]، فمعاملتنا على هذا النسق وما كلفنا غير هذا فهذا ـ وفقك الله تلخيص الفراسة الشرعية والحكمية قد أوضحتها لك غاية الإيضاح والتبيين ـ والله سبحانه ـ يوفق سيرنا للعمل بأسباب حصولها في نفسه ويحابيه بالوقوف عليها إنه القادر على ذلك والمليء به.

(١) في (ط): (كلمة التوحيد).

الباب التاسع:
في معرفة الكاتب وصفاته وكتبه

عليك بكاتب لبق، رشيق ذكي في شمائله، حرارة
تناجيه بطرفك من بعيد فيفهم رجع لحظك بالإشارة

الكاتب ـ وفق الله الإمام وسلك به حيث لا خلف ولا إقام موجود لطيف كريم شريف أصفق، عالم الغيب على شرفه، واعتلائه نجّي إدريس النبي ـ عليه السلام. وهو أول من خط بالقلم، وهو صاحب جلاء القلب وغطائه وبيده زمام مَنع الخير وإعطائه تجول بين سناه الباهر وسنائه ويتردد بين شعاعه وضيائه، منفذ الأوامر على القرب، والبعد، عالم بسر من له الأمر من قبل ومن بعد، يغني ويفقر، ويشح ويؤثر سجله ذات النفس الكلية، وهي حرة الإمام الزكية الموصوفة بالمطمئنة الراضية المرضية. كتب في رقها المنشور العلوم البرزخية فعندما تظهر آثاره على صفحات قراطيس الأجسام عبر عن ذلك بنفوذ أمر الإمام ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب صفة الكاتب والكتاب في فصلين. والله المؤيد لا ربّ غيره.

فصل في الكتاب

اعلم ـ وفقك الله ـ أن الله تعالى جعل في المملكة الكبرى لوحاً محفوظاً وقلماً معلوماً عليّاً بيمين مقدسة عن التأليف، والتعبير، فنفذ أمر الإرادة بالعلم من الحق إلى اليمين بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان وما هو كائن، وما يكون وما لا يكون ولما أثبتنا هذا الكتاب على مقابلة النسختين ومقابلتهما على النشأتين أردنا أن نعرف أين الكاتب منا:

قلمي ولوحي في الوجود يمدُّه قلمُ الإله ولوحُهُ المحفوظ
ويدي يمين الله في ملكوته ما شئت أجرى والرسوم حظوظ

(١) في النسخة (خ): (قد بيّنا أن نذكر).

فالكاتب صفة لطيفة علمية تسمى اليمين لها، عين ومادتها من عليين وهو مقام الأبرار، صاحبُ الشراب الممزوج فإذا أراد الإمام أن يظهر أمراً من الملكوت في عالم الشهادة تجلّى للقلب فانشرح الصدر وذلك عبارة عن كشف الغطاء، فارتقم فيه مراد الإمام وذلك القلب هو مرآة العقل، فرأى العقل في مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك فعرف أنه مراد الإمام فاستدعى الكاتب فأطلقه على المراد وقال له: في ذات النفس كذا وكذا فإذا حصل في النفس خرج على الجوارح، فلهذا قلنا فيه إن شرابه ممزوج لأنه امتزج بعين المقربين وهو العقل فلهذا حصل له الشرف الكامل في حقه.

فإن قيل: ما مقام هذا الكاتب، العرش أو الكرسي أو بينهما وقد علمنا على ما قدرنا في مواضعنا أن الكرسي هو محل الفرقان وهو النفس قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾[1]، فهذا فرقان والكاتب مرتبته أن يكتب في محمود ومذموم على اختلاف الأحوال وليس مقامه بحيث كتابته فخبر في كيف يتّفق هذا؟ قلنا: قولك صحيح فاعلم أنه ليس من العرش إلى الكرسي مدح ولا ذمٌّ سوى علوم مقدسة وتنزلات نزيهة عن الاتصاف والفرقان والعرش مقام الإمام والكرسي مقام النفس وهي محل التغيير والتطهير حالاً ومقاماً، فإذا نفذ الأمر إلى الكاتب فإنه ينفذ واحداً مقدساً لا يتصف بحمد ولا ذم، والكاتب إنما يكتب من الخزانة المحمدية وهي التي يغرق فيها كل أمر حكيم، فيأخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية على ما وضع لمتعلقه فإن كان حمداً فهو ذاك فيحصل عند ذلك الكاتب علماً وعيناً لا حالاً ولا مقالاً، لأنه فوق ما يكتب، فما يصدر عنه إلاّ حسن فهو بذاته على الإرادة تصرفه في شغله التي هي الكتابة من الخزانة المحمدية فالذي حصل الأمر ورده أمرين إنما الرسول بذلك الأمر والمخاطب، فالكتابة من ظاهره، والكتاب من باطنه. فحقيقة الرسول هي الممدة لحال الكاتب في حاله ومقامه، وحاله أو حقه هو الممد له في رقومه وأفعاله، فهو فرْقٌ من حيث هو مشرف وهو واحد من حيث ذاته، وهذا كله ليس لنفسه لأنه لو أراد الله ـ تعالى ـ أن يبدله بالتقديس تغييراً، وبعليين سجيناً لما منعه من ذلك مانع لكن هنا سر نسوقه في معرض السؤال لترتفع الهمة إلى طلبه وهو أن نقول: أمِنَ المُحال أن يُوجد هذا الكاتب في سجين حتى نقول إن بعض أبي جهل وغيره من الفراعنة في عليين أعني كاتبه، وحقيقته وبعضه في سجين، أو يكون المشتبه في حق المعتنى به فقدس كاتبه وحقيقته، وغير المعتنى به في سجين وإن كان محالاً ارتفاعه عقلاً فقد شقي الشقي بكليته فانظروا من كشف السر المستور وفتح هذا الباب المقفل من أنفسكم لا من غيركم!

(١) الآيتان رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

قلنا: فهذا الكاتب موجود شريف اصطنعه الخليفة لنفسه واتخذه سميراً لأنسه فمما يجب عليه أن يكون حسن الخلق صبوراً حمولاً للأذى كاتماً للأسرار الملكوتية فصيحاً بليغاً يستدرج المعاني الكثيرة في عبارات وجيزة تُنبي عنها صريحاً لا يسوق نصاً في كتابه إلاّ في مقام يأمن عقابه فإن لم يأمن فليسق من الألفاظ في كتابه ما يحتمل معنيين فصاعداً حتى لو ظهر على الإمام في بعض كتبه شيء يعطيه أحد محتملات اللفظ وكره الإمام ذلك عدل الإمام إلى الاحتمال الثاني الذي يحتمله ذلك اللفظ والله كثير العفو والتجاوز فإنه إذا دخله الاحتمال سقط كونه دليلاً على شيء معين فهذا من مهارة الكاتب وثقابته وأن يجمع بين اعتدال حروفه ومعانيه ولا يستعمل في كتابه إلاّ الألفاظ الصقيلة المعتادة الخطابية التي لها وقع في النفس وتعلق بالقلب وأن يبدأ في سجلاته بالحمد، والثناء والصلاة، ثم يأخذ في عدل الإمام وأوصافه الحسنة الشريفة ومقامه المنيف، ويرغب فيه ثم بعد ذلك يذكر ما أمر به فإن كان خيراً فهو المرغوب، وإن كان غير ذلك فقد قيل لأبي يزيد: يعصي العارف؟ قال: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾[1].

واعلم يا أخي أن الكاتب إذا كان على ما ذكرناه فهو فرع باب الشريعة ومن ثم يحصل له ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله قبله.

فصل في الكتاب

ولما كانت اليمين الكاتبة افتقرنا إلى قلم أو دواة واستمداد ولوح يقع فيه الخط كالحق واليمين، والنون، والقلم الأعلى، واللوح المحفوظ، وهو ما مثل التخطيط في الحال، وارتقام[2] الأمثلة في اللوح، ومثل ما يكون إيجاد العوالم الصادرة عن الأمثلة المرموقة في اللوح فافهم اللوح المحفوظ هنا ولوح المحو، والإثبات، وانظر كيف أثبتناه حاوياً لما لا يتناهى في رقمه، وكل ما دخل في الوجود متناه فابحث كيف لا يتناهى وما هو في العالم الأصغر، كالقطب، ولعله السر المرقوم في الصدر، وهو موضع يحتاج العارف الالتجاء في معرفته. فاللوح هو محل الكتابة فلنسميه الكتاب.

ونقول: إنه ينقسم قسمين: كتاب مرقوم، وكتاب مسطور قال الله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾[3] وقال: ﴿كتاب مرقوم﴾[4]، فأقسم بالمسطور وأخبر عن المرقوم أنه في المحلين في

---

(١) الآية رقم (٣٨) من سورة الأحزاب.

(٢) في (خ): (أن تقام).

(٣) الآية رقم (١) من سورة الطور.

(٤) الآيات رقم (٧، ٨، ٩) من سورة المطففين ونصها: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب =

سجين وعليين، فالمسطور في عالم الأرواح والمرقوم في عالم الغيب والشهادة. ومن جانب الحقائق أن المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح، لكن لما لم يعاين منه الملأ الأعلى إلاّ الوجه الواحد الذي من قِبَلها وهو لعالم الأمر كان مسطوراً، ولما كان الإنسان قد جمع العلو والسفل أشرف على الوجهين. فكان له مرقوماً فما ولي الراقم فهو المسطور وهو الموضع المشكل موضع انعقاد الخيوط وتداخل بعضها على بعض، وما ولي الأرض من الكتاب كان مسطوراً أيضاً ومرقوماً باعتبار الوجه الذي يلي الراقم في حق من شاهدهما فهذا المسطور الأرضي هو علم الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم يحجب الدنيا عن معاينة الملكوت. فالملائكة في المسطور من عالم الأمر العلوي، والفقهاء المحجوبون في المسطور من عالم الخلق السفلي، والمحققون في المرقوم بمشاهدة الوجهين فما ولي الأرض شاهدوه حساً وما ولي الراقم وهو ما فوق العرش في حق سر المحقق وما فوق السماء في حق بعض عوالم الأمر شاهدوه قلباً وعقلاً ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾[1] تجلى لهم فخاطبوه فخاطبهم فانحجبوا لماذا خرقوا الحجاب، وانعدمت في حقهم الأسباب نظروا إلى سر القدر كيف تحكم في الخلائق ولحظوا الأمر على مبدئه فإن شاؤوا صمتوا، وإن شاؤوا نطقوا فخطابه لهم كتابه في قلوبهم وهي الألواح المحفوظة المكتوب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء وفيها يقرأون وعنها يخبرون، وتلك الخواطر الربانية. فيا أيها السيد، تفطن لهذا الكاتب، فإنه وإن كان لك منصب الإمامة فله منصب الخطابة لا تستقل بها دونه فهو الإمام فيها لو حصلت معه فيها لخدمته، ولكن لإقامة الحق لك في الإمامة الإحاطية دخل هذا وغيره في حزبها فراع حرمته فهو صاحب طابعك والمخاطب عنك فتحبب إليه وإلاّ أفسد عليك ملكك، فإن الوزير مفتقر إليه، فغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مسكنك وكتبه تمشي في باديتك بما يريده لا بما تريده أنت إن شاء ذلك.

واعلم، أن الحضرة لا معنى لها إلاّ بباديتها فإن فسدت البادية وثارت عليك أدى ذلك إلى فساد مُلكك وأنى لك بتلافيه فهو الأمين على الفجور والتقوى وملكك يقبل الصفتين معاً وقد نصحتك فالزم.

توقيع رباني:

نفذ الأمر المطاع الإلهي إلى الخليفة الإنساني المبثوث فيه سر ألوهيتي بالتردد بين إنّيتي

= مرقوم﴾. أمّا الآية (٢٠) من السورة نفسها أيضاً فيها الآيات (١٨، ١٩، ٢٠) ونصها: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين، وما أدراك ما عليون، كتاب مرقوم﴾.

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة سبأ.

وهويَّتي وقد أبحت وجهي لمن أراده بلا إرادة، ومزقت الحجب تمزيقاً لا يقبل توقيعاً ولا تلفيقاً، وفزعت عن القلوب فتزينت بمعالم الغيوب فاعكف في حضرتي ساجداً فإنك لا تزال مشاهداً فإن الرؤية في السجود والحجاب في الوقوف فإني القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، فافهم ما سطرته، وانظر فيما رسمته، فإنه لا خطاب في الرؤية، ولا رؤية في الخطاب، والسلام عليك سلام من لم ينفصل عنك ولا اتصل بك ورحمة الشهود وبركات الوجود.

توقيع ملكي:

نفذ الأمر الحتم إلى الملك الكريم انزل على قلب الخليفة الإنساني فإنك تجده على أحد ثلاثة أحوال: إمّا معي، أو مع نفسه أو مع عدوه إبليس، فإن وجدته معي فلا تُلق إليه شيئاً مما أوقعت لك في هذا التوقيع فإني أتولاه بنفسي لا أكِلُ مَنْ توجَّه إلي وآثرني على كل واحد إلى غَيْري فأنا أتولى سياسة قلب عبدي ـ فتأدب أيها الملك الكريم ولا تشعره بنزولك فيفرق ويبادر إليك لمعرفته بأنك من عندي من جهة أسمى فتوارى عنه واحفظه من نفسه وشيطانه وجاهدهما ما استطعت. وإن وجدته مع نفسه فأخطر له محادثة منك في سره من غير أن يشعر بك القرين العدو ولا النفس أن بأقل أنفاسك محسوبة عليك، وأوقاتك عليك شهداء، فإيّاك والمباح فتندم، وإيّاك والمحظور والمكروه فتشقى وعليك بالمحجة البيضاء وأداء ما افترض الله عليك وإذا أردت فعل مباح من المباحات من أكل وشرب ونوم وغير ذلك فلا تتناوله تناول العامة، فتندم أو تشقى، ولكن تناوله بتنزيه وعبادة.

أمَّا التنزيه: فأن تتناوله برؤية نقصك، وافتقارك إلى الحق فيه، وتنزيه الحق عن حاجته كذلك كما قال تعالى: ﴿وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمِ﴾[1] فقد نبهك وعلّمك.

وأمَّا العبادة: فأن تنظر في ذلك من جهة ما يليق فتتخذه عوناً على عبادتك كالأكل للقوة على أداء الصلاة والفرائض من جهاد وغيره[2]، والنوم للقوة على قيام الليل، والنكاح لإنزال الشهوة ولكن لولد صالح، أو اعتصام عن مواقعة محرم، والفرجة للاعتبار وإماطة الأذى، وإرشاد الضال وإغاثة الملهوف وما أشبه ذلك، فهذه خواطر الملك بالتوقيع الإلهي.

توقيع نفساني:

نفذ الأمر الإلهي الذي لا يرد إلى النفس البرزخية أخطري إلى الخليفة الإنساني أن يفعل ما فيه راحته في الدنيا ولا طلب عليه في الأخرى ولا له فيه أجر عندنا، فإن أجابك فهو لك لا

---

(١) الآية رقم (١٤) من سورة الأنعام.

(٢) في (خ): (ومن غيره).

لي، وإن أعرض عنك فهو لي لا لك، أو لمن هو له على حسب وقته وإنك ستجده على إحدى ثلاث: إما معي، أو مع الملك، أو مع الشيطان، فإن وجدته معي فتعرضي إليه فإنه يصير فراغك شغلاً، ويرفع حجابك وتسعدين به أو إن وجدته مع الملك فتأدبي وقفي حتى ينفصل الملك بالنوم أو بالغفلة والسهو وحينئذٍ تخطرين له ذلك، وإن وجدته مع الشيطان فراحميه وحولي بينهما وآتيه باللازمة ولا يغلبنك عليه، وامض في سلطانك فيه وكيديه فإن كيده ضعيف واثبتي على ما جئته به ولا تتنوعي عليه فإنه سيعود إليك.

توقيع شيطاني:

نفذ الأمر الإلهي الإرادي لا الأمري، انزل على الخليفة الإنساني بتعدي الحدود، وانتهاك المحارم والكفر أو الشرك، والبغي والحسد والفحشاء، وعبادة غيري، فإن توقف لك في أمر ما فاعدل عنه إلى أمر آخر ولا بُدّ لك أن تجده على إحدى ثلاث:

إمَّا معي، أو مع المَلَك، أو مع النفس، فإن وجدته معي فانظر أي باب هو، وفي أي اسم وانزله في مملكتك التي ملكتك إياها من عالم الخيال من جنس الحقيقة التي هو معي فيها، حتى تري عصمتي لأوليائي وحفظي لهم، وغيرتي عليهم كيف هو، فإذا نزل إلى أفعالي، وصفاتي فألق له مما في توقيعك، فإن قبله فهو لك في ذلك الوقت ثم يتوب فيحُوز وزره عليك تعذب به في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، وإن أشرك فهو لك، وعذابه عليه وعليك.

وإن وجدته مع الملك فحاربه فإن غلبته بقيت أنا فإن خذلت عبدي ملكتك ناصيته، وإن نصرته فأمران: إما أن لا يقبل منك وإن قبِل: قلب عينها فعاد ما نصبت له بعداً قربة إليَّ وصار[1] كيدك عليك وإن وجدته مع النفس فزين لها العاجلة وابسط لها الأمل فإن استقلت به فالقه فإنه عبد مطيع لك في الحال وأنا معه بين الخذلان والنصرة احكم بعلمي فيه، وأنا العليم القدير.

فهذا أيها السيد الكريم توقيعات الحق في الوجود المعبر عنها بالخواطر قد أوضحت لك مكانتها. وإن كاتبك من أعرف الناس بها وهؤلاء الثلاثة تحت تسخيره والحق ـ تعالى ـ يجيبه فقد حاز العلم الإحاطي والمقام فاعرف قدره ولا تنزل به عن درجته فإن هذه التوقيعات بيده، وأمرها لا يرد، وما أتى على الملوك قديماً إلاّ من مجالسها ولا تغير حالها إلاّ من بسائطها فتفقد بساطك الكريم وميز بين الولي والعدو فيه بفعلك معه والإحسان في الجملة مقيد ومسدد يذهب بالضغائن ويزيل الحقد ويثمر المودة والغيرة والسلام.

---

(١) في النسخة (ط): و(جاز).

الباب العاشر:
في المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج

اعلم أيها السيد الكريم حفظ الله سلطانك عليك أن الله تعالى قدر في الموجودات بعضها على بعض، وجعلها رئيسة مرؤوسة، ومالكة مملوكة وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ يطالبك يوم القيامة بالعدل في رعيتك باديتها وحاضرتها، وأن سيسألهم عنك كما قال: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[1]، وقال: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[2] يعني بها وقال: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾[3]، وقال يبين الحقائق: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾[4] وأمثال هذا.

فالعين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج والرجل من عمالك وأمنائك من أهل باديتك وكل واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الذي تجبيه، ورئيسهم وإمامهم الحس الذي ترجع إليه هذه الحواس كلها بأعمالها وأن الحس برئاسته ومملكته مرؤوس تحت سلطان الخيال، والخيال بما فيه من صحة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذكر والذكر مرؤوس تحت سلطان الفكر، والفكر مرؤوس تحت سلطان العقل، والعقل وزيرك وأنت الرئيس الإمام المعبر عنه بالروح القدسي.

والذي ينبغي لك أيها الإمام الكريم إذْ لا تتمكن أن تباشر الأشياء بنفسك أن تجعل الأمر متحداً فتنظر في أمين ثقة قوي الجأش، ينظر في استخراج هذه الجبايات من أيدي الرعية على

---

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (٢٤) من سورة النور.

(٣) الآية رقم (٢٠) من سورة فصلت.

(٤) الآية رقم (٢٢) من سورة فصلت.

طريق العدل والسياسة فإنك لا بقاء لك دون بيت مال ولا غنى عنه ألْبتة وأنت مطالب بجميعها تطلبك الرعية بالرفق، وحسن المعاشرة، ويطلبك من استخلفك بامتثال الأمر وتمشية العدل فاحذر هذين المقامين ولا تولي مسدداً ولا عاملاً إلاّ عارفاً بقدر ما له وعليه شحيحاً، وليكن واحداً فإن الكثرة تؤدي إلى الفساد في الأمر الواحد، فإنك إن ولّيت أكثر من واحد طلب كل واحد منهم الجاه عندك والظهور على صاحبه فيظهرون الاجتهاد والرعية ضعيفة فربما حملوا عليها ما لا تحمله فيكون ذلك سبباً إلى قطعهم وهلاكهم فالذي تفسده بهذا النظر أكثر مما تصلحه، وقد قال عليه السلام: «**إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**». وقال: «**من يشاد هذا الرسم يغلبه**»[1]. وقال: من استخلفك: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾[2] فصم وافطر، وقم، ونم وقد اخترت لك مسدداً لن تقدم خيراً ما دام معك، وقد نظرت له في وَزَعة[3] يمشون معه فابعثه على هذه الجباية بوزعتَه فإنك تحمد سيرته وتشكر بصيرته ألا وهو العلم ووزعته الثبات، والاقتصاد، والحزم، والرفق، فإنه إذا دخل إلى عمالتك مع وزعته أقام ميزان العدل وحسن السياسة فإنه نافذ البصيرة يعرف خبث الرعية ومكائدها فيأخذ ما يجب له، ويكلف على قدر المصلحة والوسع، ولم يتجاوز فاعتمد عليه وأمره على من ذكرناه من الرؤساء من أصحاب الخراج فإنك تحمد عاقبته إن شاء الله تعالى.

---

(١) حديث: (**من يشاد هذا الدين يغلبه**) رواه بريدة عن النبي(ص). انظر مسند الشهاب ج١ ص ٣٤٧ حديث ٣٩٨.

(٢) الآية رقم (٢٩) من سورة الإسراء.

(٣) (وَزَعة): يقال وَزَعه يَزَعه وزعاً فهو وازع، إذا كفّه ومنعه. ومنه الحديث: إن إبليس رأى جبريل عليه السلام يوم بدر يزع الملائكة أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار (النهاية في غريب الأثر ج٥ ص١٨٠).

الباب الحادي عشر:
في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية

في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية ووقوف الإمام القدسي عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه.

اعلم أيها السيد الكريم إعلام تنبيه، لا إعلام تعليم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو ملك الأملاك، ورب الأرباب، وسيد السادات والكل عدم بوجوده إذ هو الموجود على الإطلاق الذي لا بداية لوجوده، ولا نهاية لبقائه، ولا ظاهر ولا باطن في علمه في حقه بل الأشياء كلها قديمها وحديثها، أولها وآخرها أسفلها وأعلاها إنما ظهرت به، وإنما رجعت إليه منه لا يخرج شيء منه إلاّ إليه فجميع أعمالك كلها خفيها وجليها هو سبحانه مطلع عليها فلا يطلع لك على ما يكرهه منك ولا يجدك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك وأنت سميع مطيع.

أيها السيد الكريم؛ تعين علينا التنبيه على كيفية وصول جباياتك إليك من الحضرة القلبية والحسية ومنك إلى الله ـ تعالى ـ أما الحضرة الحسيّة فإنها تجبي المحسوسات التي ذكرناها والخيال أميرها وصاحب خراجه الحس، فتأخذ الحواس جميع المحسوسات على اختلاف أصنافها، وتؤديها إلى الحس صاحب الخراج فيدفعها في خزانة الخيال فتكتسب هناك اسماً من جنس ما رفعت إليه، وزال عنها اسم المحسوسات وانطلق عليها اسم المتخيلات، ثم يكون الخيال أيضاً صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيحفظها وتنتقل هنالك اسم المتخيلات عنها إلى المذكورات والمحفوظات ثم يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيعرضها عليه فيسبرها ويخلصها ويسأل الرعية عنها ويفرق بين الحق والباطل في ذلك فإن الحس له أغاليط كثيرة وينتقل لهم اسم المذكورات عنها إلى المتفكرات فإذا سبرها ورد منها إلى الحس ما غلط فيه وأخذ منها ما صح، ورحل به إلى حضرة العقل صار الفكر صاحب خراج تحت سلطان العقل، فلما وصل إلى حضرة العقل دخل عليه، وعرض عليه ما جاء به من العلوم والأعمال

مفصَّلة هذا عمل السمع، هذا عمل البصر، هذا عمل اللسان حتى يستوفي جميع ذلك، وينتقل اسمها إلى المعقولات فيأخذها العقل الذي هو الوزير ويأتي به إلى الروح الكلي القدسي، فتستأذن له النفس الناطقة فيدخل فيضع جميع المعقولات بين يديه.

ويقول له: السلام على السيد الكريم والخليفة هذا وصل إليك من بادية حضرت على يدي عمّالك فيأخذها الروح فينطلق حضرة القدس فيخر ساجداً، وتلك السجدة قرب، وقرع لباب الحق حضرة القبول فيفتح فيرفع رأسه فتقع الأعمال من يده للدهش الذي يحصل له في ذلك التجلي فينادي من جاء بك فيقول: أعمال فلان ابن فلان الذي جعلني سلطانك خليفة عليه قد رفع إليَّ جميع الخراج الذي أمرتني بقبضه من بادية الحضرة فيقول الحق: قابلوه بالإمام المبين الذي كتبته قبل أن أخلقه فلا يغادر حرفاً واحداً، فيقول: ارفعوا زمامه في عليين فيرفع، فهذا في سدرة المنتهى. وأما إذا كان في تلك الأعمال مظالم وما لا يليق فلا تفتح لها أبواب السماء، ومحل وصولها الفلك الأثير وهنالك يقع الخطاب كما وقع في الأول، ثم يؤمر بها فتودع في سجّين قال: ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾[1]، وقال: ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾[2] ويقول الحق للروح القدس في سدرة المنتهى: (يا عبدي هذه الأعمال رفعتك إلينا، وأحلتك هذا المحل الأسنى، انظر أخاك وصاحبك دون السماء فينظر إليه فيعرف منة الله عليه فيشتغل بالجنة عن المشاهدة، فيقول الحق: قد شغله فضلي عني، فيحتجب). ولولا هذا ما صحَّ أن يزول من تلك الحضرة، ولكن قد جعل الله لكل شيء سبباً لتتم الكلمة قال تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾[3] وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[4].

وانتقل اسم الأعمال عندما وصلت إلى الروح من المعقولات فأطلق عليها الأرواح وكساها سبحانه، لما نظر إليها، حلة البهاء، وأقعدها على منبر الجلال، ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار فهذا معنى قول القائل: تزكو الأعمال أي تتطهر أو تنمو فتنتقل عليها الأسماء بانتقالها وهي واحدة في ذاتها فانظر ما أشرف حركة العبد في الطاعة وهناك يجتمع الظاهر، والباطن، والشريعة والحقيقة، وعمل الجوارح وعمل القلوب أعني في حضرة العقل، وأما أعمالك السيئات فإنها تفترق من الصالحات في خزانة الخيال، ومن العالم العلوي في الفلك الأثير.

فعليك أيها السيد بهذه الأعمال التي تخترق السموات العلا. وأما العلوم، فليست من

---

(١) الآية رقم (٧) من سورة المطففين.

(٢) الآية رقم (١٨) من سورة المطففين.

(٣) الآية رقم (١٧١) من سورة النساء.

(٤) الآية رقم (١٠) من سورة فاطر.

الأعمال التي ذكرناها فإن العلوم بحيث معلوماتها، فإذا صعدت المعارف وقفت كل معرفة بمعروفها فاجعل عملك بالله يكون علمك مقدساً منزهاً عن النقائص، ولله الحمد ولله در القائل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه — فكان بلا كون لأنك كنته

الباب الثاني عشر:
في السُّفراء والرسل المتوجهين إلى الثائرين بمدينة البدن

اعلم أيها السيد الكريم أن الحكمة أعطت[1] عقد من غلب عقله[2] على شهوته من الملوك أنه لا يوجه رسولاً إلى عدو من أعدائه، إلاّ ذا فطنة وذكاء، وشجاعة، ووفاء، وسخاء وصدق، وديانة، وأمانة، وعلم بالحجة، ومواقع الكلام فإن الرسول دليل على مرسله ومنزلته، فإن كان على هذه الأوصاف عُلِمَ أن مرسله بهذه المثابة وأعلى، فإنه لولا عَلِمَ من أرسله وعقله لما ميّز هذا الرسول من غيره، وإن كان بضد ما وصفنا كاذباً، خائناً، كثير الهوس، سخيفاً علم أن الذي أرسله أسخف منه.

فإذا تقرر هذا فلتكن رسلك أيها السيد إلى الهوى الملك المطاع الثائر بمدينتك التوفيق، والهدى، والفكر، والاعتبار، والتدبر، والثبات، والقصد، والحزم، والاستبصار، والتذكر، والخوف، والرجاء، والإنصاف وما شاكل هذه الأوصاف، فهذا ينبغي أن تكون رُسلك فأفلح، وربح ، وعظم ملك كانت رسله هؤلاء إلى أعدائه فإنه يعلم الضرورة أنهم يقمعوا عدوه بالحجة القاطعة، وربما أسلم ويرجع الهوى الذي كان يقصد الشر يقصد الخير، وتكفى مؤونة المقابلة والمقاتلة، فإن قدمت رسل الهوى الذي هو الثائر عليك والساعي في فساد ملكك فلا تُغلِظْ عليهم فإن إهانة الرسل من عدم السياسة، ورسله الحرص، والكذب، والخيانة والغدْر، والجبن، والبخل، والجهل، والشره، والعي والبلادة وما شاكل هذا الصنْف فمن جاء منهم إليك فلا تنفر عنهم ابتداء ولا تنهرهم وقل لهم قولاً كريماً فإنك تأخذ بأسماعهم وأبصارهم واقعد على سرير ملكك واخل لهم مجلسك وأمر وزيرك العقل يترجم لهم عنك فإنه سؤوس فإن كان الحرص من جملة الرسل وتكلم فإنه لا يتكلم إلاّ بحقيقة فيقول لك إن هذا الملك المطاع الذي اسمه

---

(١) في النسخة (ط): (قد أعطت).

(٢) في النسخة (ط): (غلب عليه عقله).

الهوى قد أرسلنا إليك لتدخل تحت سلطانه وإلاّ فتأذن بحرب وقد أمرك بأن تحرص على جمع الأموال والادخار، ومخالفة ما جاءت به الشريعة فتقول له أيها الرسول، مكانتك عندنا عظيمة ومنزلتك كريمة فإنه إذا سمع هذا منك، سُرَّ به فإنه لا يسمع مثل هذا من سلطانه ولكن أيها الرسول انظر هذا بفعلك وانصف من نفسك ما تقول في الله هو ربنا أم لا؟ فيقول: نعم هو ربنا، فتقول له: أيها الرسول هذه الدار التي نحن فيها أنحن راحلون عنها أم لا؟ فيقول: بلى راحلون عنها، فنقول له: انقلابنا ورحلتنا إلى الله أم إلى غيره؟ فيقول لك: [إلى الله. فتقول][1] بماذا وصف من خالف شرعه ودينه؟ فيقول: بالشقاء. فتقول له: ومن أطاعه؟ فيقول: بالسعادة، فتقول له: وهل يغني عنك أحد من الله شيئاً؟ فيقول: لا، فتقول له: أنت أيها الحرص رسول هذا الهوى تعلم أني أدعو إلى ما فيه مرضاة الله هبك تحرص على طلب المال هل يصح لك منه إلاّ ما كتب لك ولو لم تحرص؟ فيقول: نعم، فتقول حقيقتك باقية أيها الحرص ولكن اصرفه إلى الطاعات ومرضاة الرب، واحرص عليها تسعد بها، ومتاع الدنيا قليل ومع قلتها فإنها فانية والدار الآخرة خير وأكبر وأنت احرص هنا ما انتقص لك من منزلتك فيقول: نعم، ويتوجه الحرص على طريق العلم والدين فيقوى ملكك ويضعف ملك الهوى وهكذا تفعل مع كل رسول منهم مثل الخيانة، والكذب والفجور إلى آخرَها.

ولولا التطويل لذكرنا كيف تقام الحجج على كل رسول منهم بما تقتضيه منزلته حتى يسلم الكل فإن الإسلام هو الأصل فيرجعون إلى أصولهم، بخلاف رسلك فإنهم لا يرتدون عليك أبداً وغايتهم أن لا يقبل الهوى كلامهم فينصرفون خائبين، فاعرف هذه الحقائق وقد بينت لك كيف تكلم ارسال عدوك، ومن ذلك الواحد فتستدل على ما بقي ولهذا ترى المريدين اليوم يقل كلامهم بعدم محاضرة مثل هذا المجلس، وإنما هم يغلظون بالقول على هؤلاء الارسال من غير سياسة فلهذا تراه له دخول في طريق الخير وليس له ثبوت ويسخر منه الشيطان وهنا حقائق متّسقة لا ينحصر بابها فتركنا الخوض فيها مخافة أن يتخرق علينا ما يخرجنا عن مقصودنا من الاختصار، وهذا القدر كافٍ فاستعمله[2].

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٢) في النسخة (ط) خاتمة زائدة [والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على نبيّه].

الباب الثالث عشر:
في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم

اعلم أيها السيد الكريم أن الأجناد هم الأعمدة التي يقوم عليها فسطاط الملك، والأوتاد الذين يمسكونه واعلم أن الملك بيت فلا بد له من أربعة أركان تمسكه وأنا أبينها لك إن شاء الله. وهي أوصافك المحمودة وخلقك الرفيعة فلتصطف منهم أربعة خواص يدور عليهم أفلاك مملكتك، ورحى سلطانك وما بقي من الأجناد فتحت أمر هؤلاء الأربعة فينحصر لك النظر فيهم وهم يدبرون ملكك وكل واحد بطائفة معلومة، وإنما جعلناها أربعة لأمرين:

الأمر الواحد: أن الأربعة أصل الثاني من البسائط العددية والبسائط أصل في تركيب الأعداد إلى ما لا يتناهى، وذلك أن بسائط العدد من واحد إلى عشرة، وليس في البسائط من يجمع العشرة إلاّ أربعة، فإن الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة وفيها الثنتان فكانت تسعة، وفيها الواحد، فكان العشرة وليس في العدد عدد يتضمن العشرة غيره فلهذا اصطفيناه لتضمنها هذه الحكمة، وعملها قوي ما بقي بالقوة فعلمنا أن الأربعة يقومون بالملك ولهذا كانت حملة العرش ثمانية كما قال تعالى، وهم اليوم أربعة كذا قال ـ عليه السلام.

ولهذا قال ـ تعالى ـ لما وصف يوم القيامة ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾[1] فقال: يومئذٍ يشير إلى يوم القيامة.

ووجدنا ملك هذا العالم الحيواني وهو ملكك قد قام على أربعة طبائع، والعالم الكبير قد قام على أربعة عناصر، وهذا باب الأربعين والأربع باب واسع يخرجنا إيراده لك عن المقصود في الفائدة.

وأما الأمر الآخر: الذي لأجله أمرناك أن تختص أربعة لأن الجهات التي يدخل عليك الخلل

(١) الآية رقم (١٧) من سورة الحاقة.

منها ويفسد ملكك أربع جهات: اليمين، والشمال، والخلف، والأمام فمن ثم يأتيك الخلل قال الله ـ تعالى ـ ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾[1]. ولم يذكر أكثر ولا يصح فإنه ما بقي إلاّ الاثنين الفوق والتحت، فأما التحت فإليه يدعوك، وأما الفوق فهو محل طريق التنزل الإلهي فلا تقربه لئلاّ تهلك هو طريق القضاء والقدر الذي اختص الله به فلا مدخل لمخلوق فيه، فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تنظر في هذه الجهات الأربع التي يدخل عليك الفساد منها وتجعل على كل جهة منها واحداً من هؤلاء الأربعة بأتباعهم وأجنادهم يحمون الملك وتعيش هنيئاً في عافية آمناً، فإن عدوك جبان، لا يقوى على القتال، وإنما يطمع في الغدر فإذا جعلت المراقبة عطايا هؤلاء الأربعة صلح أمرك ومهما جاءك العدو من أي ناحية وجد من يمنعه من الوصول إلى مراده فيك فلتجعل الخوف عن يمينك، والرجاء عن شمالك والعلم من بين يديك، والتفكر من خلفك، فإذا جاءك العدو من عن يمينك وجد الخوف بأجناده ولا يستطيع معه دفاعاً، وكذلك ما بقي.

وإنما رتبنا هذا الترتيب لأن العدو إنما يأتي من هذه الجهات فخصصنا الخوف باليمين وذلك أن اليمين موضع الجند، والشمال موضع النار فإذا جاء العدو من قبل اليمين إنما يأتي بالجنة العاجلة وهي الشهوات واللذات فيزينها له ويحببها إليه فيعرض له الخوف فيدرأه عنها ولولاه لوقع فيها، وبوقوعه يكون الهلاك في مُلكك فلا يجب أن يكون الخوف إلاّ في هذا الموضع فلا يستعمله في غيرها من الجهات فيقع اليأس والقنط ومن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها، فالخوف للإنسان كالعدة للجندي، فلا يأخذها إلاّ عند مباشرة العدو، أو يتوقى نزوله، وإن أخذها في غير هذا الموطن سخرية وكان سخيفاً جاهلاً. وإن أتاك العدو من جهة الشمال فإنه لا يأتيك إلاّ بالقنوط والإياس، وسوء الظن بالله ـ عزَّ وجلّ ـ وغلبة المقت ليوقع بك فتهلك، فيقوم لك[2] الرجاء بحسن الظن بالله فيدفعه ويقمعه. وكذلك إذا أتاك من بين يديك أتاك بظاهر القول فأداك إلى التجسم والتشبيه فيقوم له العلم فيمنعه أن يصل إليك فبهذا فيكون من الخاسرين.

وكذلك إذا أتاه من خلفه أتاه بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة فيقوم التفكر فيدفعه فإنه إن لم ينفك ويبحث حتى يعثر على أن تلك الأشياء شُبُهات وإلاّ هلك مُلْكُك ولا سبيل إلى العدو في قتال هذه المدينة التي هي سلطانك إلاّ من هذه الأربع الجهات فإذا رتبت هؤلاء

---

(١) الآية رقم (١٧) من سورة الأعراف.

(٢) في النسخة (خ): (فيقول له الرجاء). وبقية الصياغة في (خ) في هذا الجزء صاغها على ضمير الغائب وهي هنا على ضمير المخاطب وسأترك بقية الكلام على ما في النسخة (خ) فليلحظ ذلك، بعد الثلاث جمل التالية.

كما ذكرت لك امتنع بلدك واحتمى، ولم يستطع العدو مدافعتهم فإن زدت ولا بد على هؤلاء فلا تزد على العشرة يكونوا في بساطك تلقي إليهم وإنما جعلناهم عشرة من أجل حفظ العقائد فإن الحدود عشرة التي هي رأس تنزيه الحق وهي: أمام، وخلف، ويمين، وشمال، وفوق، وتحت، وقبل، وبعد، وكل، وبعض. فمن نزه ربَّه عن هذه الحدود التي مدار السلامة عليها وبقاء الملك في دار البقاء فقد نزهه ونال السعادة الأبدية فإن غرض العدو في هدم قاعدة من قواعدها التي ذكرناها فاحذروا واجعل تحت أيدي هؤلاء القواد من الأجناد ما يحتاج إليه وتخصه بحد ما من هذه الحدود لكل حد أمير بأصحابه يقف عنده بنقبائهم وعرفائهم فإذا جاء العدو سَهُل عليك المرام ونظرت من أي ناحية وصل فتدعو بالأمير الذي في تلك الناحية وتأمره في البروز، فإنه يكفيك همه، وهكذا في جميع النواحي فتحقق أيها السيد الكريم ما رسمنا وحافظ على هذا الترتيب تسعد وتغتبط إن شاء الله تعالى.

الباب الرابع عشر:
في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء

عليك أيها السيد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة فاقصد أنزه موضع عندك واحصنه فالزمه، واجعله موضع سكناك ألا وهو الكرسي موضع القدمين وذلك المنزل هو دار السُّنة وحصن الشرع الحامي المانع العالي الذروة ولا تباشر الحروب بنفسك فإنك إذا هلكت هلك ملكك، وإن بقيت في حضرتك وتوجه لمباشرة الحروب بعض قوادك، وأمرائك الذين ذكرناهم ورتبناهم لك فإن هزمه أبقيت أنت وبقي ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدّهم ألا ترى إذا يبس الفرع فانقطع وهلك ملكه جبره الأصل وتفرعت الشجرة فإن هلك الأصل فسدت الشجرة كلها فالمَلِكُ أصلُ ملكِهِ في بقائه وعدله بقاء ملكه وبهلاكه وجوره هلاك ملكه.

والدولة جسم روحه الملك فمتى هلك الروح هلك الجسم وإذا انفسد في الجسم شيء والروح باقٍ أصلحه الطبيب والتدبير هو طبيبك، فحافظ على نفسك ولا تباشر بها عدوك.

مكيدة: إذا نزل بك عدو والتقى الجمعان فقف على ساحل العلم ثم اضرب بعصى الهمة مَتْن ذلك البحر العلمي فإذا انفتح لك طريق فادخل فيه فإن عدوك سيقفو أثرك، فإن العلم باب الرياسة والعجب والشيطان يطمع فيه، فإذا توسط العدو بحر العلم خلفك فإنه ضرورة ينطبق عليه فيغرق من غير قتال ولا خداع[1].

ولهذا قال بعض العلماء: طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يردنا إلاّ إلى الله وهذا من أحسن مكر الله والله خير الماكرين، فإن فرعون اقتفى أثر موسى وغاب عن مكر الله، فهلك. فإذا قال لك عدوك: اطلب العلم لتسود به على أبناء زمانك وتخضع لك الملوك ويفتقر إليك الخلق فلا تقل: هذا خاطر شيطاني فيتفطن لك عدوك، ولكن اشرع في طلب العلم فإن

(١) في (ط): (صداع).

الشيطان وهواك يفرحان بعملك، في غير معمل، وغاب عنهم أن العلم يأبى إلاّ أن يعطي حقيقته، والجهل طرأ على إبليس في هذه المسألة أنه تخيل أن بالعلم ضل فظن قوله: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[1]. وأن السجود لغير الله على طريق العبودية لذلك، وهذا كله جهل محض لا علم وهو يتخيل أنه علم فقال: بالعلم ضللت. فلهذا يحرض على طلب العلم ولا يعلم أن العلم يكشف عورته وجهله.

وهكذا أيها السيد جميع مطالب الخيرات إذا حرص عليها عدوك بالمقاصد الفاسدة فلا ترجع عنها فإن المُرائي العامل أحسن من المخلص البطال. فإن العمل إذا استمر ولم يكن خالصاً لا بد من نور يحصل للقلب يرده في لحظة إلى الإخلاص فتقبل جميع أعماله السالفة.

ولهذا يكثر حزن العدو وأسفه فإنه المحرض لك على هذه الأفعال التي انقلبت في حقك حسنى فاعلم. وأمَّا ترتيب الجيش عند اللقاء فكما ذكرنا لك في الباب قبل هذا ولتكن أنت في القلب مع خواصك فإن هذا مما يهول العدو منظره فإنه لعنه الله لا يقاتلك أبداً، وإنما يريد غدرك فإن مقاتلته إنما هي مع الملك عليك ولك أنت الردُّ والقبول وترتيبه على التفصيل تضيف هذه العجالة عن بسطه، ولا فائدة فيه لعدم القتال من العدو فغايتك معه أن تحذر مواضع الغدر، فافهم.

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الأعراف.

الباب الخامس عشر:
في ذكر السر الذي يغلب عليه أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه

اعلم أن العدد سرّ من أسرار الله ـ تعالى ـ في الوجود وكل عدد مذكور في القرآن وفي الشرع فلمعنى وهكذا، وخلق الله الموجودات متعددة من اثنين إلى اثني عشر وهي نهاية مراتب العدد، فإن مراتب العدد أربع: آحاد، وعشرات، ومئون، وآلاف. والأربعة أكمل العدد، ونهاية كل واحد منها إلى تسعة، ويأخذ في التكرار، وإنما قلنا: إن الاثني عشر هي النهاية، فإن العالم الإنساني نهاية تركيبه بوجه ما من اثني عشر، فإنه مركب من أمهات أربع، ومولدات أربع، ونفس، وعقل، والإنسان والمرتبة، وقد تولع قوم بهذه الأعداد واستخرجوا منها علوماً كثيرة ودلّوا على التوحيد وشرح ذلك يطول في هذا المختصر فلنرجع ونقول:

إن الواحد إذا حملته على مثله بواسطة الواو لا بواسطة في فيظهر وجود الاثنين، والواحد ليس بعدد ومنه ينشأ العدد، وبعدمه يفنى فتركبه على الاثنين فيظهر وجود الثلاثة، وعلى الثلاثة، فيظهر وجود الأربعة وتنقصه من الألف فيزول الألف فهو أصل. فأول الأعداد الشفعية: الاثنان وأول الأعداد الفردية: الثلاثة، فالاثنان أصل لكل شفع أو زوج، والثلاثة أصل لكل فرد أو وتر فالزوج مقدم على الفرد تقدماً طبيعياً لا يمكن خلافه، فإن تقدمه تقدم طبيعي لا يمكن أبداً أن توجد الأربعة قبل الثلاثة ولا الخمسة قبل الأربعة فإذا تقرر هذا العدد محصوراً في زوج وفرد فثم مواطن يغلب الزوج فيها الفرد، وثم مواطن يغلب الفرد فيها الزوج وعلى الإنسان أن يحارب هواه، أو هوى غيره وإذا حاربه فلا يخلو أن يحاربه في مباح أو في معصية، فإن حارب هواه فليغلب الزوج على الفرد في معصية كان أو مباح فإن حارب هوى غيره، فليغلب الفرد على الزوج إلاّ إذا كان في معصيته، فإنه يغلب الزوج على الفرد فإن التوحيد توحيدان توحيد الأحدية، وهو توحيد العصاة من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل فاسد.

وتوحيد الفردانية، وهو توحيد محمد وموسى ـ عليهما السلام ـ والعارفين والعلماء من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل صحيح.

فتوحيد الأحدية يغلب كل شيء في كل موطن فتحفظ منه أن يصرفه عليك عدوك، وتوحيد الفردانية يغلب في موطن ويُغلب في مواطن فالتزمه في مواطن غلبته، فإذا غلب فالتزم توحيد الأحدية، وهذا الباب يحتوي على أسرار عظيمة تركناها طلباً للاختصار فإنها متسقة يتعلق بعضها ببعض ويتوقف فهم بعضها على فهم بعض فيكتفى هذه الإشارة للعارف.

الباب السادس عشر:
في ترتيب الغذاء الروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه

اعلم أن الغذاء سبب إلهي موضوع لبقاء كل متغذ لا غنى عنه، وما بقي بيننا وبين الطبيعيين إلاّ في الأشياء التي اعتيدت غذاء فنحن نجوز عدمها وتلك استعمالها الشهور والسنين مع بقاء الحياة في المتغذي ببقاء الحرارة والرطوبة الذي هو طبع الحياة بصورة ما، فما دام الحق يغذيه بخلق الحياة فيه بقي وهم يرون هذه الأطعمة التي هي عندهم أسباب وجود الحياة، وهذا الفصل لا يحتاج للكلام مع المخالفين فيه فإن طريق التصوف ليس مبنياً على مجادلة المخالفين لأنهم في عين الجمع مشغولون بقلوبهم مع الله كيف تنبغي أن تكون.

زمان الربيع[١]:

فاعلم أن فصل الربيع حارٌ رطب، وهو طبع الحياة وأن النفس تنشط[٢] فيه للحركة والأسفار، والفُرج والنزاهات فإن ذلك زمان الحركة الطبيعية في جميع الحيوانات والنباتات، فتهتز النفس الحيوانية لذلك فإن سامحها المريد أخطأ.

فالله الله أيها السيد الكريم إذا أعطى الزمان شيئاً بطبعه ورأيت أهل مملكتك يشاكل طبعه ذلك فلا تتركه وطبعه، ولكن مرّ وزيرك العقل يأمر خديمه الفكر يأخذ من القوة الحافظة ما عندها من الأمور الشرعية مثل قوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾[٤] وقوله: ﴿حتى إذا أخذت

---

(١) في النسخة (ط): (فصل الربيع).

(٢) في النسخة (خ): (تنبسط).

(٣) في النسخة (خ): ﴿لآيات الأولى الأبصار﴾.
والصحيح ما أثبت فهي نص الآية رقم (١٣) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٥) من سورة الحج.

الأرض زخرفها وازينت﴾[١] وجعل ذلك حياتها فتكون حركة النفس في هذا الفصل الربيعي في طلب الغذاء الذي يوافق هذا الزمان فتأخذ من أسرار المعاملات ما ليس للنفس منها تلك المجاهدة الشاقة فيشرع في السنن والشرعيات التي تعطيها المقامات العلية[٢] مع عدم الشدة والضيق كالاعتبارات والأفكار في المصنوعات وإجالة البصيرة على [شهود][٣] الصانع عند إجالة البصر في المصنوعات فإذا تحققت بهذا النظر سامحها في الخروج إلى الفُرج والأنهار، والمروج، ومواضع النواوير، والأزهار من الجبال، والغياض فلا تزال تجني ثمر الاعتبار والفكر والاستبصار على كثرة مشاهدته من عوالم الأزهار والنوار في الجبال والقفار، وشواطىء الأنهار والتفكر في الجنة، وما أعد الله لأوليائه، فإن زمان الربيع زمانها وهي الدار الحيوان فهي حارة رطبة طبع الحياة فإذا فكر في هذا كله حرضه على الأعمال وهوّن عليه شدائدها لعظيم ما يرجوه من النعيم الدائم عند الله فهذا هو زمان الشاب والإقبال[٤] وليس آخره كأوله.

وأمّا زمان القيظ:

فهو حار يابس طبع النار، فينبغي لك أن تكون الغالب عليك أيها السيد في هذا الفصل الفكر في حال الشيخوخة والضعف عن الأعمال التي لا يقدر عليها من كبر سنه، والفكرة في جهنم، وشدتها، وسعيرها وتنظر في آية قوله: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾[٥] وتفكر في حر يوم القيامة، وعطشه وطرد الناس عن الحوض، وإلجام العرق، وأمثال هذا ينبغي أن يكون غذاء نفسك في هذا الفصل فإنه يلائمه للالتحاق بالعالم السعادي هذه حالة جيدة.

وأمّا زمان الخريف:

وهو الفصل الثالث، فهو بارد يابس وهذا طبع الموت فينبغي لك أن يكون الغالب عليك في هذا الفصل في غذائك التفكر في الموت وسكراته، وغمراته وهل مختم[٦] لك بالتوحيد أو بالشرك وما تلقاه من خصميك ومن نزع الملك روحك الطيبة أو الخبيثة وهل يفتح لها أبواب السماء أو لا؟ وهل تكون عند موتها في عليين أو في سجين؟ وإن ذلك أول موطن من ولادة الآخرة، وأن الدنيا اليوم حاملة بك وهذا الجسم كالمشيمة للمولود، وبالموت تقع الولادة، ولهذا

(١) الآية رقم (٢٤) من سورة يونس.

(٢) في (ط): العلمية.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٤) في (ط): (الشباب والاقتبال).

(٥) الآية رقم (١٢) من سورة التكوير.

(٦) في (ط): (يُختم).

قال: ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾[1]. وكذلك أنت اليوم، بالإضافة إلى ما يفتح لك من علوم الآخرة وما تعانيه وما أعدّ الله لعبيده من الوعد والوعيد فمثل هذا الفكر يكون الغالب عليك في زمان الخريف.

وأما زمان الشتاء:

فإنه بارد رطب وهو طبع البرزخ، فينبغي أن يكون غذاؤك في هذا الزمان الفكر في البرزخ بين المنزلتين، هل أنت ممن يعرض على النار غدواً وعشياً كآل فرعون أو ممن يعرض على الجنان يعلق من رياض الجنة ويتبوأ منها حيث يشاء كالمؤمنين، وتفكر في الحسرة المستصحبة لك في البرزخ على ما ضيعت من الأنفاس والأوقات إما في المخالفات أو في المباحات فتتمنى في ذلك الوقت أن يردك الله إلى الدنيا وليس ذلك التمني بنافع لك وليس الله برادك فتكثر حسراتك وتتوالى عليك فإذا تيقنت بالفكر الصحيح، والعلم الراجح أن ذلك وقت الحسرة والتغابن، ولا ينفع فيحرضك على الجهد والاجتهاد في هذا الوقت في حياتك الدنيا حيث ينفعك حسراتك إن تحسرت، وتوبتك إن تبت وندمك إن ندمت كما قال تعالى: ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات﴾[2] وقال: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾[3] فإن ذلك الجزء من الحياة الدنيا ليس منها وإنما هو من البرزخ من الدار التي لا ينفع فيها ما عمل فيها فليكن غذاء نفسك هذا الغذاء في هذا الفصل فإنه نافعك ـ إن شاء الله تعالى ـ فإذا جمعت بين الغذاءين فقد صح جسمك للمعاملات وصح عقلك للواردات وكنت في كل زمان صاحب علم وعمل وهو الذي حرضك الشرع إليه وأمرك به، وندبك إليه، فاسع أيها السيد في نجاة نفسك، ونجاة رعيتك، واعلم أن أهل دولتك إن عاشرتهم في الدنيا بالحق، والعدل، والإنصاف، ومشيت بهم على الطريقة الواضحة الشرعية فإن الله ـ تعالى ـ يقيهم لك يوم القيامة شهداء لك بالعدل، وحسن النقية والسيرة، والمعاشرة، وإن عدلت بهم إلى طريق المخالفات والمحظورات انعكس عليك وأوقفهم الحق شهداء عليك بقبيح السيرة، وسوء المعاشرة، فالله الله تحفظ. قال الله ـ تعالى ـ ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[4]، وقال: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[5] وقال: ﴿إن السمع

---

(١) الآية رقم (٧٨) من سورة النحل

(٢) الآية رقم (٧٠) من سورة الفرقان.

(٣) الآية رقم (١٨) من سورة النساء.

(٤) الآية رقم (٦٥) من سورة يس.

(٥) الآية رقم (٢٤) من سورة النور.

والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[1].

وكما أنه لكل فصل من فصول السنة علل وأمراض يحدث فيها في الأبدان وعلى حساب السن كذلك يكون في الروحانيين علل فلننظر إلى الأغذية الروحانية التي رسمنا لك في كل فصل فإن الشيء الذي يحول بينك وبين تناولها والأخذ فيها فهو علتك في ذلك كائناً ما كان من غير تعيين أنت تعينه لنفسك فإنك تدري السبب الذي حال بينك وبين أخذ هذا الغذاء الذي فيه حياتك، وصحتك، وبقاؤك وإنما ذكرنا العلوم في الأغذية وسكتنا عن الأعمال، ولم نجعل العمل غذاء فإن العمل (لا يجيء به)[2] الروح وإنما (يجيء)[3] بالعلم الإلهي في هذه الأزمان المختلفة فإذا أمرتك باكتساب هذه العلوم الإلهية في هذه الأزمان المختلفة، فقد أمرتك بالأعمال كما يقول الطبيب. يكون غذاؤك زيرباجاً ومن المحال أن يتغذى بقوله زيرباجاً، وإنما في الزيرباج روحانية مودعة يؤدّيها إليك فيقوم الجسم فيأخذ اللحم ويضيف إليه السكر واللوز والزعفران والخل والفلفل ومن أفاوه الطيب ما تيسر ويركبه على النار اللينة المعتدلة حتى يكون طبخه معتدلاً فإذا استوى أنزلته وتناولته فأعطاك روحانيته، وهي الأمانة التي أودع الله فيه لك فحييت بها، وتقوت صحتك، وبقي كل ما عمله الجسم، وخدم فيه خرج تفلاً ترميه في المرحاض، كذلك الأعمال تعملها فتأخذ روحانيتها من العلوم والدرجات، وتتركها كما تركت تفل ذلك الطعام في جهنم على الكفار وهي المشاق والشدائد التي نلت في تلك الأعمال من القيام في الأسحار والسعي إلى المساجد وفي سبيل الله، وإسباغ الوضوء في السبرات، وجميع المكاره، وهي هذه الأعمال الشرعية في الدنيا فتتركها كلها ولا تنقلب إلى الآخرة، إلاّ بلطائفها التي أودع الله فيها التي قد رأيت هنا عيونها في قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[3] ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾[4]. فكما أن الغذاء الجسماني لم تقدر أن تصل إليه عمل سببه كذلك هذا الغذاء الروحاني لا تصل إليه حتى تعلمه وأيسر أعماله أن تأكله فأكله عمل، وإن عمله خادم فلا بد من تحرك أسنانك فيه، وتسخير اللسان، والأحناك، والأسنان والحلقوم والمريء، والمعدة، والمعى والكبد، وحينئذٍ يسري منه فيك روح حياة وليس إذا أكله غيرك يحصل لك فيه شيء فكذلك هذا الغذاء الروحاني لا بد أن تكون أنت المتناول له بنفسك، وحينئذٍ يعطيه الله لك فما أعمى أكثر الناس، عن إقامة هذه النشأة الروحانية بهذا الغذاء الإلهي عن هذا العمل الشرعي وقد علمنا قطعاً أن الجسم يحشر يوم القيامة على صورة

---

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة الإسراء.

(٢) في النسختين هكذا وأظنه (تحيا به).

(٣) الآية رقم (٦٩) من سورة العنكبوت.

(٤) الآية رقم (٢٨٢) من سورة البقرة.

عمله والنفس على صورة عملها، والسعيد من حسّن صورتيه وجمع بين كلمتيه، فهذا هو الغذاء الذي يحصل من جهة الأعمال.

واعلم ـ وفقك الله وسددك ـ أن كل محدث فلا بد له من غذاء يتغذى به فيه بقاؤه، واعلم أن ميكائيل هو الأمين على الأرزاق، والأغذية كلها المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذي يعطي الغذاء بجميع البدن، وكذلك إسرافيل يغذي الأشباح بالأرواح، وجبريل يغذي الأرواح بالعلوم والمعارف فكل موجود يكون بقاؤه مربوطاً بأمر ما، فكذلك الأمر هو غذاؤه كالجوهر غذاؤه بالعرض فلا بقاء له دونه، وكذلك الجسم بالتأليف، وكذلك العقل ببعض العلوم الضرورية وكذلك الهيولى بالصّور، فلا يزال الروح القدسي متعطشاً لبقائه في وجوده، وبقاؤه بالعلوم الإلهية فهي غذاؤه، ولهذا قال الله ـ تعالى ـ لنبيه «عليه السلام» ﴿وقل ربِّ زدني علماً﴾[1] ثم رآه في صورة الغذاء المحسوس على ما خرجه البخاري في صحيحه قال: قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم) **«رأيت كأني أُتيت بقدح لبن فشربته حتى خرج الري من أظفاري، ثم اعطيت فضلتي عمر قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم»**[2]. وشربه ليلة أسري به[3] وقيل له: هو القطرة أصاب الله بك أمتك فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تكون مع الله تعالى على حكم تدبيره سبحانه في بادئة ملكه ولا تتأنى في استجلاب غذاء الأرواح فإنك مأمور بسؤال الزيادة، فإن الأرواح لا تشبع من العلوم أبداً، وقد عرفنا ذلك فقال ـ عليه السلام: **«منهومان لا يشبعان: طالب عمل، وطالب دنيا»**[4] ولا تطلب من العلم ما تأخذه من تحت قدمك، وإنما اطلب من الرحمة التي اختص بها عباده الذين أقودهم إليه والعلم الذي خصهم به، وهو العلم اللدني فإن علوم المعاملة، وإن لطفت وعلت، فإنما علوها وجمالها وحسنها ولطفها بالنظر إلى علوم الأفكار المدنسة بحكم النظر العقلي، والافتكار، وهذه وراء طور العقل فنورها أجلى ومرآتها أصفى، ولكن العلوم اللدنية التي لم تقترن بتحصيلها عمل مع استصحاب العمل والفرقان بينها بيّن، فإن علوم الأعمال الهمم متعلقة بها ولهذا أنت على مدرجة من مدارجها وهي علوم السعادة وهي العلوم الذي نبهتك عليها؛ علوم لدنية موقوفة على الامتثال المطلق الذي لم يدنسه المخلوق بكده، وإن كان الحق أكده، ولكن ثم لطيفة الكشف تطلع سحابة على مرآة الروح انبعاث سفلي من عالم الهِوي حيث صعود الأبخرة

---

(١) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

(٢) حديث: **(رأيت كأني أتيت بقدح)**. انظر تحفة الأحوذي ج١٠ ص ١١٩.

(٣) في (ط): (إسرائه).

(٤) حديث: **(منهومان لا يشبعان)**. رواه أنس عن قتادة عن أبي عوانة انظر المستدرك على الصحيحين ج١ ص ١٦٩ وسنن الدارمي ج١ ص ١٨ مجمع الزوائد ج١ ص ١٣٥ وكشف الخفاء ج١ ص ١١٦.

وتولد السحاب وكلما دخل تحت العناصر فإن التغيير يسرع إليه إلاّ أن يكون صاحبه قوي المحافظة على الموازنة في الحركات والسكنات والمطاعم والمشارب، يحفظ بذلك رتبة الاعتدال فحينئذٍ إذا تخلص له هذا المقام يكون سعيداً، وهذه العلوم لا تحتاج إلى شيء من هذا الحفظ البشري من أجل العناية. والسلام.

الباب السابع عشر:
في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله

وفي هذا الباب أودعت المضاهاة وهو على خمسة أبواب.

اعلموا يا أصحاب القلوب المتعطشة إلى أسرار الغيوب لأنه ما أضيف شيء إلى شيء بأي وجه كان من وجوه الإضافات من إضافة تشريف أو اختصاص أو ملك، أو استحقاق ولا دلّ دليل على مدلول ولا رأى رأي لمرئي، ولا سمع سامع لمسموع إلاّ لمناسبة غير أنه قد تظهر فيعرف لقربها، وقد تختفي فتجهل لبعدها، وهي على قسمين: ظاهرة، وباطنة.

فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحققوا. والباطنة لا تعرف أبداً بالنظر فإن معرفتها موقوفة على الوهب الإلهي، وهذا هو طور النبوة والولاية والفَصل بينهما لا خفاء به، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) متبوع تابعه الولي، ومقتبس من مكاشفاته وبظاهر من ضرب المناسبة الظاهرة ووقع الخطاب ثبتت العقائد التي تعمّد الخلق بها فقالوا: الله موجود، ونحن موجودون، فلولا معرفتنا بوجودنا ما عرفنا معنى الوجود حتى نقول: إن البارىء موجود. وكذلك لما خلق الله فينا صفة العلم أثبتنا له العلم وأنه عالم. وهكذا الحياة بحياتنا والسمع، والبصر، والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا، وحروفنا والقدرة والإرادة. وكذلك سائر الأسماء كلها من الغنى والكرم والجود والعفو والرحمة كلها موجودة عندنا فلما سمى لنا نفسه بها عقلناها فما عَقلنا منه غير ما أوجده فينا، وما عدا ذلك فعلمنا به من جهة السلب وهو ليس كالقِدَم ليس بصفة إثبات وإنما معناه الأول له في وجوده، فتعلق العلم بنفي الأولية عنه وعلمناها أيضاً، فإن الأولية موجودة عندنا حقيقة والنفي عندنا معلوم منا بفقد أشياء منا بعد وجودها فينا أوضحها انتقالنا من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن نظر إلى نظر، فقد عرفنا حقيقة النفي وحقيقة الأولية، ثم حملنا النفي على الأولية ووصَفْنا الحقَّ بها، وهي صفة سلب وقد يعلم الشيء بنظيره وبضده وقال عليه السلام: «**من عرف نفسه عرف ربه**» فأثبت له من الصفات ما

خلق فيَّ لا غير، فهذه معرفة وبقيت معرفة السلب التي بها امتاز عنا فأخذنا الصفات التي ثبت بها حدوثنا وعبوديتنا وإخراجنا من العدم إلى الوجود ونفيناها عنه، ولم نجد له صفة إثبات معينة ليست عندنا نعرفه بها لكن نعرف أنه على حكم ليس نحن عليه ثابت له فلولا هذه المناسبة ما صحت لنا عقيدة ولا عرفنا أصلاً ثم بعد هذا، وإن عرفناه بما وصفنا فإن هذه الصفات في حقنا تعقبها الآفات والأضداد وهي له باقية لا يعقبها ضدٌّ ولا آفة. وعرفنا هذا ببقائنا عليها زمانين فصاعداً، فقد عرفنا صفة البقاء فأصحبناه تلك الصفة النزيهة المقدسة، وهذا الباب يطول، وقد أوضحناه بيناً في كتاب (إنشاء الجداول) وهو كتاب شريف بيّنت فيه المعارف بالأشكال ليقرب إلى الأفهام، فهذا ضرب من المناسبة الظاهرة والمضاهاة في الحضرة الإلهية.

وأمّا المناسبة الباطنة:

فوكلناك فيها إلى نفسك فإنها تدرك بالمجاهدات والمشاهدات وبقيت لنا المضاهاة الثانية التي بين الإنسان والعالم وقد بسطنا القول فيه في أكثر كتبنا ولنذكر منه هنا فصلاً قريباً جامعاً يحوي على كلياته وأجناسه، وأمرائه الذين لهم التأثير في غيرهم ولولا ما قصدنا في كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبه لضربنا له دوائر على صور الأفلاك وترتيبها ونجعل لكل فلك في العالم ما يقابلها من الإنسان بخاصية ذلك الفلك ويدور الخلق كله على أربعة عوالم:

العالم الأعلى، وعالم الاستحالة، وعالم عمارة الأمكنة، وعالم النسب. ولكل واحد من هؤلاء العوالم غاية فجميع ما يحتوي عليه العالم الأعلى من العالم الكبير عشرون حقيقة، وعالم الاستحالة خمس عشرة حقيقة وعالم عمارة الأمكنة أربع حقائق، وعالم النسب عشر حقائق وهي كلها في الإنسان موجودة وهذه هي الأمهات وهي تسع وأربعون حقيقة. وكذلك الإنسان فالعالم محصور في ثمان وتسعين حقيقة مما تقتضيه خلقه ثم زاد الإنسان على العالم بالسر الإلهي المبثوث فيه الذي صح له به الاستخلاف وتسخير ما في السموات وما في الأرض، فجاء الأمر كله تسع وتسعون من أحصاها دخل الجنة، والموفي مائة المهيمن على كل شيء، وهو الحق فالوجود كله مائة الموفي مائة منها الاسم الأعظم وكذلك الجنة مائة درجة الموفى مائة منها جنة الكثيب الذي ليس فيه نعيم إلاّ الرؤية، وليس لمخلوق فيه دخول إلاّ وقت النظر وهو حضرة الحق وهذه أسرار عجيبة نبّهناك عليها لتعرف منزلتك من الموجودات.

وأن النار مائة درك الموفي مائة منها درك الحجاب وهو محل المشاهد إذا ارتد ورجع فإنه يهوي في جهنم ويترك في دركاتها على مقابلة الدرج التي سقط منه، فأعلى عليين يقابل أسفل سافلين قال الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[1] فما بعده أحسن منه ﴿ثم

---

(١) الآية رقم (٤) من سورة التين.

رددناه أسفل سافلين﴾[1] فما بعده أسفل منه.

ثم نرجع ونقول: فأما العالم الأعلى فأعلاه لطيفة الاستواء وهي الحقيقة الكلية المحمدية وفلكها الحياة ينظر إليها من الإنسان لطيفته، والروح القدس ثم في العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم ثم في العالم الكرسي بنجومه ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها، ولما كان موضع القدمين فكذلك النفس محل الأمر والنهي، والمدح، والذم.

ثم في العالم البيت المعمور ينظر إليه من الإنسان القلب ثم في العالم الملائكة ينظر إليها من الإنسان أرواحه والمراتب كالمراتب، ثم في العالم زحل وفلكه ينظر إليها من الإنسان (القوة العلمية والنفس)[2] ثم في العالم المشتري وفلكه ينظر إليها (القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ)[3] ثم في العالم الأحمر وفلكه ينظر إليها من الإنسان (القوة المفكرة ووسط الدماغ)[4] ثم في[5] العالم الزهرة وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة الوهمية والروح الحيواني[6]، ثم في العالم عطارد وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الخيالية ومقدم الدماغ، ثم في العالم القمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الحسيّة والحواس. فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان.

وأما عالم الاستحالة:

فمنه الفلك الأثير وروحه الحرارة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان الصفراء وروحها القوة الهاضمة ثم في العالم فلك الهوى وروحه الحرارة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان الدم وروحه القوة الجاذبة ثم في العالم فلك الماء وروحه البرودة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان البلغم وروحه الدافعة ثم في العالم فلك التراب وروحه البرودة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان السوداء وروحها القوة الماسكة.

وأمّا الأرض سبع طباق:

أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء، فينظر إليها من الإنسان طبقات الجسم والجلد والشحم، واللحم، والعروق، والعصب، والعضلات والعظام.

---

(١) الآية رقم (٥) من سورة التين.

(٢) في النسخة (ط): (القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ).

(٣) في النسخة (ط): (القوة العاقلة واليافوخ).

(٤) في النسخة (ط): (القوة الغضبية والكبد).

(٥) سقط من (خ): [ثم في العالم الشمس وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة المفكرة ووسط الدماغ].

(٦) في النسخة (خ): (الروحاني).

وأما عمارة الأمكنة:

فمنه الروحانيون ينظر إليهما من الإنسان القوى التي فيه، ثم في العالم الحيوان ينظر إليه ما يحس من الإنسان ثم في العالم النبات ينظر إليه ما ينمو من الإنسان، ثم في العالم الجماد ينظر إليه ما لا يحس من الإنسان.

وأمَّا عالم النسب:

فمنه العَرَض ينظر إليه من الإنسان أسود، وأبيض وما أشبه ذلك، ثم في العالم الكيف ينظر إليه من الإنسان صحيح وسقيم، ثم في العالم الكم ينظر إليه من الإنسان سنُّهُ عشرة أعوام وطوله خمسة أذرع، ثم العالم الأين ينظر إليه من الإنسان الأُصابع موضعها الكف الذراع موضع لليد، ثم في العالم الزمان ينظر إليه من الإنسان تحرك وجهي وقت تحريك رأسي. ثم في العالم الإضافة ينظر إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله، ثم في العالم الوضع ينظر إليه من الإنسان لغته، ودينه، ثم في العالم أن يفعل ينظر إليه من الإنسان أكله، ثم في العالم أن ينفعل ينظر إليه من الإنسان ذبح فمات، وشرب فروي، وأكل فشبع، ثم في العالم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل، والحمار، والأسد والصرصر ينظر إليه من الإنسان القوة التي تقبل الصور المعنوية من مذموم، ومحمود، هذا فطن فهو فيل هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر.

فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبير مستوفى مختصر فما بقي له شيء فما له لا يسعى في تخليص نفسه من رق الشهوات كما حصل له أشرف المراتب في الوجود فيحصل أسنى المراتب السعادية.

وأما الأسرار المودعة في الإنسان:

فكثيرة جداً منها ما يرجع إلى مزاجه ووضعه الطبيعي ومنها ما يرجع إلى حاله ووضعه الإلهي ونحن نحتاج في هذا الكتاب إلى ذكر بعض من أسراره الإلهية الروحانية وإن خالطها من المزاج أمر يسير فليس غرَضنا.

ويظهر سلطان هذه الأسرار بالتنزلات الإلهية بواسطة روح القدس على الروح بأسرار الولاية على الولي وأسرار النبوة على النبي: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾[1].

وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) ضروب التنزلات بالغتّ والغط وجعل أشده عليه فيه

---

(١) الآية رقم (٤١) من سورة النور.

صلصة الجرس لاختراق النور الملكي ظلمة هذا التركيب الطبيعي حتى يصل بذاته إلى النور الروحي الذي في الإنسان فيلقى إليه فباشتغال الروح معه فتحذر الجوارح، وينحرق الطبع، ويتغير المزاج، فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى إليه. فإذا انصرف عنه النور الملكي سُرِّي عنه، وقد عرق جبينه، واحمر وجهه، وقام كأنه نشط من عقال وهو قوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾[1] وكان أهون ما يلقى إليه إذا تمثل له رجلاً فيأخذ من جهة سمعه وهي المحادثة. ولأولياء الله في هذا مشرب شهي، ومتى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن الوجود الحسي فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله هنا، ويعقله إذا رجع ويعبر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبادة، فذلك هو الحال الإلهي، ويجد القلب عند الإفاقة سروراً، وربما عرَتْهُ أبردة، فذلك حال صحيح، وإن غيب ثم رد ولم يجد شيئاً إلاّ أنه أخذ عنه بقبضة، قبض عليه لم يثمر له فائدة ولكن غاب عن حسه فهذا حال من المزاج لما حمي القلب بالذكر أو بالتخيل صعِدَ منه بخار من التجويف الكبير الروح إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيواني من الشريان ورمى بصاحبه كالمصروع، فهذا حال صحيح ولكن من المزاج ليس فيه فائدة، وبهذا إذا سألته يقول لك: رأيت كأني كسيت بُرْنُساً أسود وسحابة مرت على عيني فغبت وهو ذلك البخار الذي ذكرناه.

وأما الحال الثالث الكذاب هو الذي يعقل صاحبه اهل مجلسه ولم يغب عن نفسه، ولا عن حسه ويتحرك ولا سيما في مجلس السماع، فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس سَخِرَ به الشيطان فكل ما يلقى إليه يتخيل أنها علوم، وهي سموم فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة فإنها حالة شيطانية وإنه ليس في قوة شيطان أن يفنيك عن حسك، ثم يلقي إليك وتغفل عنه، وإنما هو على وجهين على البدل: إما أن يفنيك مثل الصرع، ولكن لا يلقي إليك شيئاً لأنه لا يجد من يأخذ عنه، وإما أن لا يفنيك ويلقي إليك وأنت مع حسك وقد كسا باطنك شيئاً من حرارة، وتوهم، واستطلاع إلى بعد وضرب من استعداد الخطاب، فإذا عرف أنه قد تمكن منك في هذا المقام ألقى عليك خطاباً فتحس بمواقع الخطاب في نفسك على حسب ما يلقي إليك فتخبر عما وجدته فإخبارك أنك وجدت هذا في نفسك صحيح وكونك أن تنسب ذلك إلى الحق باطل، وربما يقول لك من مواقع خطابه «عبدي أنا ربك لا تنظر إلى غيري فأحجبك ولا تنظر إليَّ إلاّ بي، فإن نظرت إليَّ بك أشركت، فأنا الناظر والمنظور». وما أشبه هذا النوع من الخطاب، ويقنع إبليس منك أن تعتقد أن ذلك من الله فيستولي عليك فتصير محلاً له طول عمرك، فلو علمت أن مخاطبة الحق لا تترك إحساساً وليست بالوهم ولا

(١) الآية رقم (١٩٣) من سورة الشعراء.

بالتخيل، ولا بالاستعداد والانتظار لعلمت ببقاء حسك معه أنك مع من يجانسك محدث مثلك يريد أن يسخر بك وأكثر ما يوجد هذا أصحاب السماع والوجد ومن غلب عليه الوهم والتخيل فعليك بالفناء المحض، وإن لم تجد شيئاً فهو أسلم من الفتنة فإن وجدت فيه شيئاً فهو المطلوب وارتفع التلبيس فلا مدخل هنالك لإبليس.

فهكذا ينبغي أن تكون أيها المريد وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك ولا تكن من الجهالة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك، ثم لتعلم أن الروحانيين ليس لهم إلقاء الأمر والنهي، وإنما لهم التّحْضيض والإخبار لأنه لا فائدة لأمرهم فإذا استولت عليك روحانية تديرك فانظر فإني أمَرْتك ونَهَيْتُك بضرب من العبادات فتلك شيطانية فاضرِب عنها وأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسي وسورة البقرة، فإن لم تأمرك ولكن تخبرك فأنت فيها على الاحتمال بين أن يكون شيطاناً أو غير ذلك وتميز بينهما سرعة التنوع في الإلقاء بأن يلقى شيئاً ثم شيئاً آخر فهو روح شيطاني، وإن استمر أمر واحد فإنك معه في حال الفتنة أيضاً فلا تقبل من الإلقاء، فإن أردت الصحيح إلاّ ما حصل لك في حال الفناء الكلي من غير تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما يكون منه، وسر المشاهدة للبهت، وسر الكشف للعلم وسر البقاء للأدب، وسر الفناء للتوحيد، وسر القبض للافتقار وسر البسط للسؤال، والأسرار كثيرة.

وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله فلنذكر خواص الأحجار الإنسانية.

فمن ذلك حَجَرُ البَهْتُ:

وهو حجر عزيز فيه غُبْرة، ومحله بحر الظلمات وله أسرار عجيبة وهو نكتة ذاتية في القلب كمثل الإنسان في العين الذي هو محل الرؤية وكالساعة في الجمعة كما قال عليه السلام: **«وقد مثلت له الجمعة مرآة وفيها نكتة سوداء فأخبر أنها الساعة التي في الجمعة».**

فإذا كان الران على القلب لم يظهر لهذا الحجر وجود وجميع الأرواح التي في الإنسان من عقل وغيره إنما هو مترقب لمشاهدة تلك النقطة، فإن انصقل القلب بالمراقبة والذكر والتلاوة بدت تلك النقطة فإذا بدت ما لها ما تقابل سوى حضرة الحق الذاتية فينتشر من ذلك الحجر نور من أجل التجلي فيرى في زوايا الجسم فيبهت العقل وغيره وينهزم ذلك النور المنفهق من ذلك الحجر وشعشعاته فلا يظهر لهم تصريف ولا حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولهذا سمي حجر البهت فإذا أراد الله أن يبقي هذا لعبدٍ أرسل على القلب سحابة كونٍ ما تحول بين النور المنفهق من تلك النكتة وبين القلب فيتسمر النور إليها منعكساً وتشرح الأرواح والجوارح وذلك هو التثبيت فيبقى العبد مشاهداً من وراء تلك السحابة لبقاء الرسم ويبقى التجلي دائماً لا يزول أبداً

في ذلك الحجر ولهذا نقول كثيراً: إن الحق ما تجلى لشيء قط ثم انحجب عنه بعد ذلك ولكن تختلف الصفات ولنا في هذا المعنى أبيات منها:

لما لـــزمـــت قـــرع بـــاب الـــلـــه   كـــنـــت المراقـــب لم أكـــن بـــالـــلاهـــي

حَـتَّـى بَـدَت لـلـعـين سُـبْـحـة وجـهـه   وإلـــى هَـــلُـــمَّ لم تـــكـــن إلاَّ هـــي

وكذلك من كتب الله في قلبه الإيمان فإنه لا يمحوه أبداً ولهذا قال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾[1] فهذا هو الحجر النافع المطلوب الذي يطلعك على مشاهدة المحبوب فاعلم ذلك، وآية هذا السر من القرآن ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾[2] وخاصيته أنه إذا قام بالعبد في وقت ما فإنه يقهر كل ما تعرض له من غير التفات ولا معرفة به.

ومن ذلك حجر الزمرد:

آيته من كتاب الله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾[3] فالقوة المذكرة خاصيتها أن تعمي إبليس عن ملاحظة كيده في الحال وتُدهشه فلا يلحق يرجع إليه بصره إلاّ والمؤمن على إحدى حالتين إما في غفلة فتمسه مرة أخرى، وإمّا في حضور فيحترق إن دنا منه، وقد رأيته ـ لعنه الله ـ لا يجرؤ على دخول بيت فيه عارف بالله سوى نام العارف أم كان مستيقظاً.

ومن ذلك حجر الياقوت الأحمر:

وآيته من كتاب الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾[4]، وخاصيته إذا كان الإنسان مشاهداً له من جهة روح قدس فإنه يعلم من العلوم المتعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره، فإن كان مشاهداً له من جهة نفسه الغضبية، وصادف جبّاراً من الجبابرة فإنه يذل له ويخضع لما يجد له في نفسه من التعظيم وإن كان توعده عفا عنه.

ومن ذلك حجر الياقوت الأزرق:

آيَتُهُ من كتاب الله تعالى: ﴿لا مُعَقِّب لحُكْمِهِ﴾[5] هو الذي يعطي الرياسة للإنسان مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق.

---

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة.

(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة سبأ.

(٣) الآية رقم (٢٠١) من سورة الأعراف.

(٤) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٥) الآية رقم (٤١) من سورة الرعد.

حجر الياقوت الأصفر:

آيته من كتاب الله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1] مخصوص بأصحاب المقامات وخاصيته العبودية، والذلة، والافتقار، ومقام مشترك من حصل له جهل حاله.

الحجر المكرم:

آيته من كتاب الله ـ تعالى ـ ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[2] يدور به فلك الحياة في كل موجود وفي كل شيء خاصيته قلب الأعيان إذا دبّر، وأحكم وألقيت منه أدنى شيء على ما شئت قُلت عينه لما نعطيه حقيقة ذلك الشيء كالإكسير عند أهل الكيمياء تأخذه فتحمله على القصدير والحديد فتقلبهما فضة، وعلى النحاس والرصاص فتقلبهما ذهباً وهو واحد. واختلف القبول لاختلاف الطبائع كذلك هذه الحقيقة تلقيها على العاصي فيصير طائعاً، وعلى الكافر فيصير مؤمناً، وهذا هو الكبريت الأحمر العزيز الوجود الذي جعله الله من ضنائنه وأودعه في أرفع خزائنه من وصل إليه لا ترى أثره عليه، فإن الحاصل عليه به ضنين ولنا في معناه أبيات منها:

مُدَّعِي الصَّنعةِ مِنْ غَيرِ سَبَبْ ... عِشْتَ فِي زُورٍ وَدَعْوى وَكَذِبْ
فاسمع قول محب ناصح ... صادق اللهجة محفوظ الطلبْ
نزل النير من أفلاكه ... واسع في تحصيل تركيب النسبْ
وخذ الآبق من معدنه ... وأمِطْ عنه الفِؤادَ المُكتسبْ
فإذا ما رضته واحتملت ... ذاته التركيب فيها وَرَسَبْ
صعد الفاضل وانظر حاله ... بامتزاج النيرات في لهبْ
فإذا أفناه يبقى سبب ... يقلب الإنك في العين ذهب

إزالة الظل وقطع التصرير:

قال الله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾[3]. وإنما يبقى الظل لعلة في الصنعة فما دام الظل كان في الأمر تدليس وحرم التصرف فيه، وإزالته إن لم تكن عندك سر الحجر المكرم، ولا تنتجه الحقائق الأربعة فلا بد طلب إمام فإن لم تجد فأَخْلِ بيتاً من جميع الأشياء واتخذه خلوة وليكن ذكرك الله الله لا غير ولتفرغ من هم المطعم والمشرب باستعدادك قبل ذلك واجعل

---

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة الصافات.

(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (٤٦) من سورة الفرقان.

مستندك هذه الآية: ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] فإنه لا بد من زوال الظل[2] أقربه في سبعة وأبعده في أربعين يوماً. وأما التصْرير فسببه انضغاط النفس بين عالم الملكوت والشهادة وهو باب الأحوال فاعمل عليها قوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3]، فإنه ينقطع تصريره إن شاء الله تعالى.

---

(١) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٢) في النسخة (في): (الكُل).

(٣) الآية رقم (٢٨) من سورة الرعد.

الباب الأول من الباب السابع عشر وهو الباب الثامن عشر من أبواب الكتاب في معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب

نقدم مثالاً للتقريب فيما نذكره، وذلك أن الشمس إذا قابلت الجسم الصقيل فإنه ينبعث من ذلك الجسم نور يضيء به موضع لا تقابله الشمس بانعكاس الشعاع كضوء القمر الذي هو انعكاس ضوء الشمس فمن أراد أن يرى الشمس فليجعل عينه في الموضع الذي يضرب فيه النور المنعكس، وينظر في الجسم الصقيل فإنه يكشف الشمس ويجيء من هذا الترتيب شكل مثلث الركن الواحد الشمس والركن الثاني الجسم الصقيل، والركن الثالث موضع ضرب الشعاع المنعكس.

واعلم بعد أن ضربت لك المثال أن النفس الحيوانية يفيض عنها نور من جانب التجويف الذي فيه الروح الكثير من القلب فيصل إلى أقصى أماكن الجسد ثم ينعكس ذلك النور مثل حركة الفلك فيرقى حتى يتصل بالدماغ فيتصل بالعقل اتصال سريان يكون له تأثير استفاضة على غير البصيرة فإذا ظهر ذلك النور لعين البصيرة كالشمس للبصر هو المخاطب بقوله: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾[(١)]. فلا معنى للحس ها هنا فينعكس الشعاع من عين البصيرة على ساحل القلب كانعكاس الشعاع من العين على المبصرات فينظر إلى عجائب الملكوت ويتصل الأنوار وتنفتح عند ذلك العين الثانية من القلب وهي عين اليقين وهي الناظرة إلى نور اليقين فإن لله تعالى - نورين: نوراً يهدي به، ونوراً يهدي إليه، وله في القلب عينان: عين بصيرة وهو علم اليقين، والعين الأخرى عين اليقين، فعين البصيرة تنظر بالنور الذي يهدي به وعين اليقين تنظر بالنور الذي يهدي إليه قال الله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾[(٢)] وهو نور اليقين وقال في النور الآخر: ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾[(٣)]، فإذا اتصل النور الذي

---

(١) الآية رقم (٣٧) من سورة ق.

(٢) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

(٣) الآية رقم (٢٨) من سورة الحديد.

يهدي به بالنور الذي يهدي إليه عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض ولاحظ سر القدر كيف يحكم في الخلائق وهو قوله: ﴿نور على نور﴾[1].

(١) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

الباب الثاني من السابع عشر وهو الباب التاسع عشر
من أبواب الكتاب في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت

قد قدمنا أن الأنوار ثلاثة: نور الحياة، ونور العقل، ونور اليقين. فأما نور الحياة الذي هو انعكاس شعاع النفس الحيوانية فعلله ثلاث: الرّان، والحجاب، والعقل. وكلها مذكورة في القرآن، وموادها من الصفات البشرية الظاهرة في عالم الشهادة فهذه الأمراض التي حصلت للقلب في هذا المقام إنما ذلك من جهة النفس الأمّارة البهيمية. وأما النور الذي يحصل للقلب بانعكاس شعاعه من جوهر العقل فَعِلَّتُهُ النفس الغضبية لها نار تطبخ القلب وتحرقه فيصعد منه دخان على القلب يجول بين العقل والقلب فتنقطع المادة فيظلم القلب وذلك الدخان هو الغطاء والكن والغشاوة فإن تكاثف أدى إلى العمى ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[1]، وفي ذكر الصدور هنا إشارة تركناها لك.

وأما لنور اليقين الذي هو الأمد الأقصى فالعلة التي تحول بينه وبين عين اليقين من القلب عدم الإخلاص، والقبض بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمذمومة فلو انحرق لزال الحجاب ووقع الانشراح واتصلت الأنوار وظهرت الآيات والعجائب. وتحقيق هذا الفصل فيمن نظر في قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى قوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾[2] هنالك تبدو لك الحجب في مقابلة الأنوار آيات بيّنات لقوم يعقلون.

---

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة الحج.

(٢) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

الباب الثالث من السابع عشر
وهو الباب الموفي عشرين من أبواب الكتاب
في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والاثبات

وهذا المقام هو الذي يجمع الولي والنبي، وهو الذي يفرق بينهما فجعل الله القلم ترجمان الدواة ومفصّل علومها بالرسوم فهو العالم المحفوظ، وهو المثبت، والماحي، وأم الكتاب، وهو المسطر علومه في قوته مجمله لا نفعل عنه حتى يفصح.

وأمّا لوح المحو والإثبات فهو لوح الدفتين الزمردتين المودع كائنات العالم إلى يوم التبديل فهو لوح محصور وعليه اعتكفت ملائكة التسخير ومنظره منك في العالم الإيمان، وفي اللوح تنوع الأحوال بتنوع الأزمان بتنوع الأماكن بتنوع الأوضاع بتنوع الأعراض فينسخ الآخر الأول أبداً وهو المحو والإثبات، فإذا رجعوا إلى تماثلهم حُشروا في القلم الأعلى فاستعلوا السموات العُلى فيخرج النبي والوارث بالقلم الأعلى، ويختلف الإلقاء لأن قلم النبي له طرفان، وقلم الولي له طرف واحد، ويخرج الولي للعارف والمؤمن باللوح فتمتاز المراتب. والله عليم حكيم.

الباب الرابع من الباب السابع عشر وهو الباب الحادي والعشرون من أبواب الكتاب في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع

السماع سرّ من أسرار الله ـ تعالى ـ في الوجود العلية واحد في نفسه، والسامعون شخصان: شخص يسمع بنفسه، وشخص يسمع بعقله، وليس ثم سامع آخر.

ومن قال: إنه يسمع بربه فإنه نهاية درج سمع العقل لكن العقل سمعان: سمع من حيث فطرته، وسمع من حيث الوضع، فالذي له من حيث الوضع هو الذي قيل عنه، يسمع بربه وقوفاً عند قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن ربه: **«كنت سمعه الذي يسمع به»**[1] فالذي يسمع بعقله يسمع في كل شيء ومن كل شيء وعلى كل شيء لا يتقيد، وعلامته في ذلك البَهْت وخمود البشرية، والذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع إلاّ في النغمات والأصوات العذبة الشهية وعلامته أن يتحرك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس ومهما أحس المتحرك في السماع فإنه مسخرة الشيطان، وإن لم يحس، وفني كل شيء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها وحاله صحيح صَحَّحه الفناء ولا يأتي بعلم أبداً عقيب هذا الفناء، والحركة في السماع فإن ادعى أنه أتى بعلم فلم يكن فانياً، ولم يكن سمع بعقله، فإنه قد تحرك فلم يبق له أن يكون إلاّ كاذباً، فإن سماع النفس لا يأتي بعلم ألبتة، وسماع العقل لا يكون معه حركة فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق.

واعلم أنه إذا أراد الله تنزل المعارف على قلب عبده بضرب من ضروب الوجد أرسل برد القرب على القلب المعقول فيبرد سماع القلب فيأخذ سفلاً فيجد الحرارة الغريزية صاعدة إلى الدماغ فيعتمد عليها فتنعكس الحرارة فتأخذ سفلاً حتى تحل بساحة القلب فيتولد عن ذلك الحل نار فتصعد فإن وجدت في سحاب برد اليقين والقرب خللاً صعدت فكان ذلك التأوه الذي يسمى الزفرة، وإن لم تجد خللاً حللت رطوبات السحاب الأعلى من جمده فمن ذلك

---

(١) حديث: **«كنت سمعه الذي يسمع به»** تقدم تخريجه.

هو البكاء الذي يطرأ على صاحب الحال في حاله، فإن ذلك النار قد أنضج الكبد يشم في ذلك التأوه رائحة الحرق، ويصدع تلك النار في تجويف القلب بالانضغاط الذي هو فيه فيسمع له في ذلك الوقت أزيز يسمى الوَجْبة والصيحة والرَّجفة، وفي ذلك الوقت تقع الصيحة من صاحب الحال فمن كان في قلبه جلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة وهي صلصلة الفكر الطبيعي بالقلب وينصدع لها القلوب إذا قويت عليها، ومن كثرت الريون على قلبه من الحاضرين أخمدته لتلك رعدة وقرع ووقع الإنكار منه على صاحب الحال، وقال: هذا ما سمعنا عنه أنه كان في السلف وقد كانت الموارد ترد على النبي (صلى الله عليه وسلم) وما سمعنا أنه صاح ولا صعق فلا يلتفت إلى قوله، فإن قلبه مطبوع، وقد فرقنا بين سماع العقل وسماع النفس وكل في بابه صحيح، وفي خروج تلك الزفرات تكون حياة العارف فإذا أرادت النار الخروج من خلل السحاب الذي ذكرناه ووجدته متراكماً ما فيه خلل انعكست وطبخت القلب والكبد في الحين، وأحرقتهما، فمات صاحب الحال من فوره، وعند زج تلك النار من القلب إلى الدماغ يكون الحركة والشطح من صاحب الحال وأكثر خروجها متلوية متداخلة ملتوية، فتكون حركات صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة، وأكثر ما يظهر منهم الدوران لأن شكل الإنسان في الحقيقة مستدير، والنار مجرى على شكله فإن ذلك السحاب رقيقاً، واسع الخلال، فإن الحرارة تنفس فيه فلا يظهر من صاحبه زفرة ولا يسمع لقلبه وجبة، ولكن يغلب عليه الضحك ما دام في ذلك الحال للاتساع الذي يجده فلا تغالط نفسك أيها المريد، فقد أثبت لك صورة الأمر، فإن شئت أن تكون صاحب عقل، وإن شئت أن تكون صاحب نفس. والله تعالى يصلحنا وإياك وجميع المسلمين.

الباب الخامس من السابع عشر:
في الوصية للمريد السالك وهو على فصول وبه ختم الكتاب

اعلم أيها المريد نجاة نفسه أنه أول ما يجب عليك قبل كل شيء طلب أستاذ يُبصِّرك عيوب نفسك ويخرجك عن طاعة نفسك ولو رحلت في طلبه إلى أقصى الأماكن، وأنا أوصيك ـ إن شاء الله تعالى ـ ما تفعله في مدة طلبك الشيخ حتى تجده، فإذا وجدته فانقد إليه وكن في خدمته فالحاضر أَبْصَر من الغائب فكن بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، ولا يخطر لك عليه خاطر اعتراض ولو عاينته وقد خالف الشريعة فإن الإنسان ليس بمعصوم، ولا تكتم عنه كل ما يقع لك في نفسك من محمود ومذموم في كل من كان، ولا تقعد في مكانه ولا تلبس ثوبه، ولا تجلس إلاّ أنت بين يديه مستوفر جلوس العبد بين يدي سيده، وإذا أمرك بفعل شيء فثبت فيه حتى تعرف ما أمرك به، ولا تبادر وأنت غير عارف بما أمرك به فلا تأتي بشيء ولا تسأله عن سبب ما أمرك به، وإذا وصَفْت له حالاً من أحوالك في رؤيا أو غيرها فلا تسأله عن شرحها، وإذا كلمته في أمر فلا تطلب منه الجواب عليه، ولا تحتمل فيه قولة قائل وإذا عرفت عدواً له فاهجره في الله ولا تجالسه ولا تعاشره، وإذا رأيت من يحبه ويثني عليه فحبه واقضِ حوائجه، وإن طلق شيخك امرأة فلا تتزوجها، وإياك أن تدخل بيت خلوة الشيخ ولا تبيت معه في بيته أو حيث يبيت، وكن قريباً منه حيث لا تراه، فإذا دعاك سمعته، ولا تشاوره في أمر تفعله، فإنك تناقض أصلك، فإن الأصل الذي ربطت عليه أمرك ألا تريد إلاّ ما أراده شيخك، فإذا خطر لك شيء فاتركه عن نفسك، والتفت لما يرسمه لك وعليه اعتمد فإن من الشيوخ من إذا شاورته في أمر قال لك: افعَله، وإن كان لا يريد ذلك فإن الحال يعطيهم ذلك، وهو يضربك، فإن قال لك: لا تفعله نفعك وأضر نفسه وصلاح نفسه عنده أولى فما تسلم من هذا الضرر إلاّ بأن لا تشاوره في أمر خطر لك أن تفعله، ولكن اترك ذلك الخاطر ولا تفعله، فإن وقتك قد عمره ما كلفك به شيخك، وإنما تقع الخواطر للمريد السوء البطّال الفارغ ظاهراً وباطناً. ولا تعترض عليه في فعْل من أفعاله، ولا تسأله لم فعلت ذلك؟ وتَلمَّذ واخدم كل من

قدمه عليك شيخك ولا تقعد مقعداً حيث كنت إلاّ وتتبين أن الشيخ يراك فالزم الأدب، ولا تمشِ أمامه في طريق إلاّ بليل، ولا تدم النظر إليه، فإن ذلك يورث قلة الحياء، ويخرج الاحترام من القلب، ولا تكثر مجالسته، وليكن جلوسك في بيت خلوتك أو خلف باب بيت الشيخ حتى إذا أرادك وجدك. ولا تقضِ لأحد حاجة ولو كان أباك حتى تشاور شيخك، ولا تدخل عليه متى ما دخلت إلاّ قبلت يده وأطرقت وتحبب إليه بامتثال أمره ونهيه لك، وكن حافظاً شحيحاً على عرضه، وإذا قدمت له طعاماً فألقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وقف خلف الباب فإن دعاك أجبه وإلاّ فاتركه حتى يفرغ فإذا فرغ أزل المائدة أو السفرة إذا أمرك فإن بقي من طعامه شيء وأمرك بالأكل فكله، ولا تؤثر بنصيبه أحداً، وإياك أن تحدث نفسك أن الشيخ يأكل وحده فتستعظم أكله إن كان طعاماً كثيراً فيفرغ أو يقع فيه من أجل الخبر فيمن أكل وحده، واجهد أن لا يراك فيما لا يسره منك، ولا تتمنَ عليه، واحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب في أوقات فحافظ على أنفاسك في الحضور معهم فإن وقعت منك زلة في حق أدب مع الشيخ وعرفت أنه قد عرف بها وسامحك فيها ولم يعاقبك، فاعلم أنه قد مكر بك، وقد علم أنه لا يجيء منك شيء ولهذا سكت عنك، وإذا عاقبك على الخطرة واللحظة، وضايق عليك أنفاسك فأبْشر بالقبول والفتح والرضى لا يدللك عليه بسطه، بل كلما انبسط فلتردد في قلبك المهابة والإجلال وتعظيم الاحترام والاحتشام.

كلما ازداد بسطة وخضوعاً زدت فيه مهابة وجلالا

وإن سافر شيخك، وتركك في موضعك فلازم الموضع الذي كان يقعد فيه بالسلام عليه في كل يوم في الأوقات التي كنت تأتي إليه فيها، فإنه ما غاب وارع من حرمته في غيبته رعايتك في حضوره، وإذا رأيته يريد الخروج إلى موضع فلا تقل له في ذلك: إلى أين؟ ولا تدخل عليه رأياً من أفعاله، وإن شاورك فرد الأمر إليه فإن مشورته إياك ليست من افتقاره إلى رأيك وإنما شاورك تحبباً لك وسياسة، وإذا رأيته يلازم موضعاً فلا تقل له في ذلك، ولا تحدث نفسك أن تلك عادة منه وإذا انتقل عن موضع كان يلزمه فلا تذكره به، ولا تتأول عليه كلامه فيما أمرك أو يحدثك به، وقف عند ظاهر ما تسمع وافعله إذا أمرك وإن تيقنت أنه خطأ فامض لما أمرك ولا تقدم على تأويل فيه تأولت أمره، وأصبت فهو خطأ كما أنك إذا لم تتأول وفعلته كما أمرك، وكان ذلك أصبت فإن الهداية في الطريق عندنا في حق المريد مع الشيخ، والشيخ مع الله ليس هي في إصابة التأويل في الأمر يوجه العلم الصحيح، وإنما الهداية في امتثال الأمر من غير تأويل ألبتة وسره عندنا بين ظاهر في الحضرة الإلهية، ومتى تأولت على الشيخ ما أمرك به أو يقول له تخيلت أنك أردت كذا فاعلم أنك في إدبار فابْكِ على نفسك، وما أتى على أكثر المريدين إلاّ من التأويل، فإن التأويل حظُ النفس، والعقل ظاهر لا يتأول ولا يقيس على أمر، بل

الأمر كله على الوجوب فهو يبادر إليه إذا خوطب به، ولا تصل في موضع تستدبر فيه شيخك إن كان حاضراً واجمع بين الأدبين ولا تفش له حديثاً إلاّ بأمره، ولا تقف له على أكل ولا نوم ولا حالة من أحوال العادة فإنه أنفع لك إلاّ إن دعاك إلى ذلك، وصورة دعائه لك في ذلك أن لا تتعرض له بمشورة مثل أن تقول له: يا سيدنا تأمرني أن آكل معك، أو تأمرني أن أنام معك في بيت واحد، أو أنصرف فإني أخاف أن يقول لك كُلْ معي أو نم عندي، وهذا غاية الإبعاد عندنا فإنه داعية الإدلال، وإسقاط الحرمة والهيبة، ومتى ما عدم هذا من المريد فإنه لا يفلح ولا بد منه ألبتة. ومن قال خلاف هذا فلا يعرف نفسه.

وهكذا أيها المريد فلتكن حالتك مع الشيخ، إن شاء الله، فأول ذلك التوبة بإرضاء الخصوم ورد المظالم التي تستطيع على ردّها، والبكاء على ما فات من أوقاتك في المخالفات ومصاحبتك للعلم بأنك من ذنوبك على يقين ومن قبول توبتك على خطر ولا تقعد إلاّ على طهارة كاملة، ومتى ما أحدثت توضأت، ومتى ما توضأت صليت ركعتين والمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والتنفل في بيتك.

فصل الصلاة

وإذا توضأت فاسع في الخروج من الخلاف وتوضأ أسبغ وضوء يتوضأه أحدٌ للصلاة، وأتمه، وسمِّ الله في بدء كل حركة من حركاتك، واغسل يديك بترك الدنيا منها، ومضمض بالذكر والتلاوة، واستنشق بشم الروائح الإلهية، واستنثر بالخضوع وطرح الكبر، واغسل وجهك بالحياء، وذراعيك إلى مرفقيك بالتوكل وامسح رأسك بالذلة، والافتقار والاعتراف امسح أذنيك باستماع القول واتباع أحسنه، واغسل قدميك لإبطاء كثيب المشاهدة ثم اثنِ على الله بما هو أهله وصل على رسوله الذي أوضح لك سنن الهدى (صلى الله عليه وسلم) وقف في مصلاك بين يدي ربك من غير تحديد ولا تشبيه وواجهه بقلبك كما تواجه الكعبة بوجهك وتحقق أن ما في الوجود أحد إلاّ هو وأنت فتخلص ضرورة، وكبّره بالتعظيم، ومشاهدة عبوديتك وإذا تلوت فكن على حسب الآية المتلوة فإن كانت ثناء على الله فكن المحدث وهو الذي يتلو كتابه عليك، فعليك[1] الثناء عليه فيما يثني به على نفسه، وكذلك في آية الأمر والنهي وغير ذلك لتقف عند حدوده، وتعرف ما وجّه عليك سيدك من الحقوق فتحضرها في قلبك لأدائها، والمحافظة عليها، والحظ ناصيتك بيده في ركوعك، ورفعك وسجودك، وجميع حركاتك فتسقط لك الدعوة في هذه الملاحظة حتى تسلم، فإذا سلمت فابقِ على عقدك أنه ما ثم أحد غيرك وربك سبحانه. وسلم باللفظ على من أمرك فإن سلامك على نفسك ﴿فإذا

---

(١) في النسخة (ط): (فليعلّمك).

دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾[1] ومتى دخلت بيتك فحيّه بركعتين، وكذلك كل موضع تدخله.

فصل الأكل والشرب

ولا تأكل إلا عن[2] فاقة، ولا تشبع ولا تكثر شرب الماء ولا تأكل تصنعاً ولا تعززاً، ولكن كل على قدر حاجتك إلى الطعام ولا بشره إليه بجوعك، بل خذ اللقمة متوسطة، وإذا جعلتها في فيك فاشدد مضغها وسمِّ الله عليها، فإذا مضغتها فابتلعها ثم احمد الله الذي سوغكها، وحينئذٍ تمد يدك إلى لقمة أخرى فتسمِّ الله أيضاً مثل الأولى حتى تبتلعها، وتحمد الله، وحينئذٍ تمد يدك إلى غيرها حتى تأخذ حاجتك، وكل مما يليك ولو كنت وحدك لئلا تعتاد سوء الأدب، واحذر الشهوة ولا تنظر إلى وجه أكيلك، ولا إلى يده ولتنظر بقلبك في ذلك إلى تنزيه من يطعم ولا يطعم فيبين لك نقصك وعجزك، فتكون في عبادة في أكلك ولا تلتفت ولا تصغ لمن يقول لك إنك تأكل قليلاً فيؤذيك ذلك إلى أن تتركه رياء حتى يقال إنك تأكل قليلاً، وإذا حضرت على مائدة طعام فكن آخر من يرفع يده ولا تقم حتى ترفع المائدة ولا تأكل في بيتك ثم تأتي إلى الجماعة فتأكل معها بالتقزز كأنك قليل الأكل فإن ذلك من شيَم المنافقين وليكن أكلك من وقت إلى وقت.

فصل الكسب والتوكل

ولتحترف إن عدمت اليقين، ولا تظهر التوكل وليس عندك منه شيء وتتخيل أن عجزك من قوة يقينك وحسن توكلك، وإنما هو من نقص همتك ودناءة أصلك، وقلة معرفتك، فاحترف على حد الورع واجهد في ذلك جهدك فإن طالبتك نفسك بالعقود، والتوكل فلا تجاهدها في ذلك واسمح لها في دعواها وارحل بها عن المواطن التي تُعرف فيها إلى الأمصار الكبار الذي لا يعرف فيه الغريب من البلدي، ولا تقعدها في موضع واحد من ذلك البلد، بل خالف بها المواضع، ولا تعاشر أحداً، ولا تتعرف إليه، فإذا رأيت إنساناً وتوسمت فيه أنه قد جاءك بشيء أو سمعت حركته ولم تره، وقالت لك النفس: هذا فتح من الله فدخل عليك ذلك بذلك الفتح فلا تقبله وردّه عليه فإنه أتاك باستشراف ولتعلقها بالرزق حتى كوشفت عليه فأين الله منها في ذلك الوقت فلا تقبله، ولو كنت على الهلاك فإذا أتاك الشيء من غير استشراف وحصل بين يديك فانظر على الفور ما تجد في نفسك في أول خاطر عند رؤية ذلك الفتوح فإن وجدت في

---

(١) الآية رقم (٦١) من سورة النور.

(٢) في النسخة (ط): (من فاقة).

نفسك انقباضاً منه فردّه عليه، ودع ما يريبك وإن لم تجد انقباضاً منه، ووجدت شرحاً فإن صاحبه شره، فرده ولا تقبله، وإن لم يصحبه شره فحينئذٍ خذ منه قدر ما تحتاج إليه في ذلك الوقت ورد عليه ما بقي ولا تقعد في ذلك الموضع وارحل عنه إن كان المصر كبيراً جداً ولا ترد المواضع التي جرت العادة بإتيان الفتوح إليها كالروابط والمساجد وما أشبه ذلك، وهذا كله حتى يتقوى يقينك وإن لم تفعل هذا، وإلاّ فقد خنت نفسك ولا تسمع من صوفي نطق من مقامه فقال لا أرى غيري ما قالها حتى قاسى ما ذكرته لك وحينئذٍ، وإما أن تفعل ذلك ابتداء فشغل البطالين.

فصل في الصحبة

والصحبة أشر شيء على المريد فإن الطريق مبني على قطع المألوفات وترك المستحسنات، ولما كانت الصحبة تؤدي إلى الألفة والأنس، وتغيير المحل بوجود الألم عند وقوع المفارقة لهذا كرهناها ولهذا يقول المشيخة: من وجد الأنس في الخلوة والوحشة في الملأ. فأنسه بالخلوة لا بالله، وإنما التبس عليه، فالأولى بالمريد الاعتزال عن الصحبة جملة، ولتكن همته في طلب الشيخ، فإن وجد الشيخ فلا يلحظ غيره، ولا يصاحب إخوته من تلامذة الشيخ، ولا يجالسهم إلاّ إذا أمره الشيخ بذلك فينبغي للمريد أن يكون مع الخلق مع جنسه وغيره كالوحش يطلب بذلك الأنس بالله، ويُكثر الذكر ويستهتر فيه ولا يبايت أحداً، فإن اضطر في الصحبة فليرقب نفسه مع صاحبه، فإن وجد عنده مَغِيبِهِ وحشة إليه فليتخل عن صحبته فإن تبعه ذلك وطالبه فليفرّ من البلد، وكذلك في ثوبه ومسكنه إذا أحس من نفسه أنه أحب ثوبه باعه واشترى غيره وإن استغنى عنه أعطاه وإن أحب مكانه تحول عنه ولا يبقى مع شيء يأخذ من قلبه نصيباً حتى يكون فردانياً في الوجود فإن الحق سبحانه لا يتجلى لقلب له أنس بغيره لا من الطائعين ولا من غيرهم ولولا أن الشيخ له طبيب ووجود العلة التي فيها الهلاك المريد عنه لم يجز له أن يجلس معه ولكن يجلس معه لا على وجه الأنس به، ولكن على وجه تعليم الأدب فإن الطالب إذا تعلق أنسه بالشيخ طال عليه الطريق وصعب على الشيخ طبه، وتعذّر عليه، واستبطأ البُرْءُ من علته وذلك لأنسه به وغرض الشيخ من التلميذ أن يجده في كل وقت معمور القلب بالذكر حتى إذا ألقى عليه ما يؤديه إلى مجالسة أحد في فعله زماناً واحداً يراه يتألم، فيعرف الشيخ أن المريد قد فتح عليه، واعتنى به، وليكن معاشرته بالإيثار، والفترة، وسخاوة النفس وترك طلب الحقوق منهم، ويرى الفضل لهم، ولا يرى لنفسه حقاً عندهم فكيف فضلاً عليهم، ولهذه العلة أمرنا المريد بترك الصحبة، فإن للصحبة حقوقاً يجب عليه أداؤها تشغله عن أداء حقوق الله تعالى في قلبه وهو ضعيف فالعزلة به، والفرار أولى، فإن الصحبة من شيم المتمكنين الأكابر،

وكن معهم على نفسك إن ذمُّوك فأنت للذم أهل، وإن صدُّوك فأوصافهم تكلمت عنهم، وستر الله عليهم أمرك، ولو كشفه لهم رأوا عورة فلا تفرح بحمدهم وثنائهم عليك.

فصل: السعي إلى المساجد

وينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فإنها مفرقه ولهذا منعناه من السفر لتشوش حاله إلاّ في طلب شيخ يرشده، فإذا خرج إلى المساجد، أو إلى ضرورة فلا يلتفت يميناً ولا شمالاً، وليجعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى، ويكون مشتغلاً بالذكر في مشيه ويرد السلام على من سلّم عليه، ولا يقف مع أحد ولا يقل لأحد كيف حالك؟ وليحذر من هذا فإنه صعب عندنا ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك، أو عذرة، ولا يجد رقعة في الأرض إلاّ يرفعها في كوة، ولا يتركها تداس بالأرجل ويرشد الضال ويعين الضعيف، ويحمل عن المثقل، هذا كله واجب عليه.

وإذا سلم فليسلم على كل عبد صالح لله في الأرض والسماء من ذلك المقام يرد عليك، وإياك والسعي في مشيك، ولكن بالتأني من غير عُجْب فإنه أوفر لهمك، وإذا كنت حاملاً شيئاً فأردت الراحة فابعد عن طريق الناس، ولا تضيق عليهم طرقهم، وإياك وحضور مجالس السماع، فإن أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر ولا تسمع واشتغل بالذكر، فإن سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر ولا سيما والقوال قلَّ ما ينشد إلاّ في باب الجنة، والشوق، والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعوى عندك، فإن أنشد القوال في الموت وما يردك إلى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنم أو ذهاب العمر والموت وكرباته، والحساب، والقصاص أو مواقف القيامة فاصغ إليه، وفكر فيما جاء به، فإن غلب عليك حال يغنيك عن إحساسك، وقمت فليس قيامك لَكَ، وإنما أقامك وأردك فمتى ما رجعت إلى إحساسك فاقعد من حينك، وارجع إلى هيئة اعتدالك فإن الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال وتتنوع بحسب القصد، فإن تحركت، وأنت تحس بحركتك، فحركتك إلى أسفل كمن ينزل من علو إلى سُفل حتى تستقر في سجين، نسأل الله العفو والعافية.

وإن تحركت، وأنت فانٍ عن نفسك وإحساسك، فإن فنيت في الله تعالى باستيلاء عظمته في قلبك أو في الجنان أو في النار فحركتك علوية حتى تستقر في عليين، وإن فنيت في معشوق من امرأة أو حدث فحركتك في جهنم في سجين مع كونك فانياً، وحالك حال صحيح ولكن في الفساد ويتوهم الناس أنك في حق الله تعالى فنيت فإياك وحضور مجالس السماع فإن اضطررت إلى الصحبة، ولا بد فصاحب العباد المجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ فإن لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنهم يطرقونها وقنن الجبال،

وبطون الأودية، وإذا عزمت على أن تكون معهم فإياك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلاّ وأنت في المسجد والصلاة تقام، فقد فرطت غاية التفريط ولست منهم، وإما أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام، فلا يتكلم على هذا فإن هذا من علم العامة المطعون في إيمانهم، فتب إلى الله واستأنف وإياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد في المسجد.

فصل الخواطر

واعلم أنك إن عاشرت الفقراء، وخدمتهم فلا ترد خاطراً يخطر لك في مصالحهم من خدمتهم فإن خواطرهم رسل إليك، فافعل كل ما يخطر لك من غسل ثياب أو طبخ طعام أو شيء من هذه المنافع، فإن الفقراء الصالحين تخطر لهم الخواطر ومجاهدتهم تمنعهم من التحدث بها حتى لا يسعى لنفسه في شهوته، والله سبحانه يريد أن يجمع بين الأمرين معاً يصدقهم فيلقي في نفسك فعل ما خطر لهم فقم عند ذلك وافعله وآئتِ به إليهم فيحصل لهم درجة المجاهدة ونيل المطلوب وتتعلم أنت تصديق الخواطر سوى ما لك من الأجر في ذلك ولا تحتقر بشيء من الخير فإن هذا الطريق طريق الأرباح، فلا يهلك على الله إلاّ هالك وأربعة من أحكمها، فقد فاز بجميع الخيْرات: خدمة الفقراء، وسلامة الصدر، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وأن تكون معهم على نفسك، وقل ما يسلم مريد في ابتداء حاله من الخواطر الرديئة، في كل جانب من جانب الحق ومن جانب الخلق فآكد ما على المريد السعي في أن يسلم الناس من سوء ظنه بهم، وإن كنت صادقاً صحيح الخاطر والكشف بالعادة والتجربة لذلك، فيخطر لك خاطر سوء في واحد وهو كما خطر لك، فاعلم أنه من إلقاء الشيطان. وتُبْ إلى الله تعالى منه واستغفر الله، وسله أن يعمّر باطنك لا بالاشتغلال بخلقه وكيف وقد شغلك بمساوئهم، وإنما الشيطان يحب أن يستدرجك، ويصدقك ليكذبك، ويكرمك ليهينك فتحقق. وإنما ينقطع هذا بالذكر وينقطع ما كان في جانب الحق عنك بالعلم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.